2272
.7144
.356

2272.7144.356
al-Nuṣṣ
al-Layl

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
[illegible]	[illegible]		
	AUG 2 4 1976		

Princeton University Library
32101 074298207

P

الليل في الدروب

al-Nuṣṣ, ʿUmar

عمر النص
دكتور في الحقوق

al-Layl

الليل في الدّروب

2272
.7144
.356

11-3-66 1943

أبواب الليل

أَفي ٱلْحَلَكِ ٱلْمُرْبَدِّ تَهْدِرُ رِيَتي
أَمِ ٱلرِّيحُ تَبْكي في دُروبٍ بَعيدَةِ
وَأَيُّ يَدٍ هَوْجاءَ يَبْغَتُها ٱلصَّدىٰ
فَتَدْرَأُ عَيْني بِٱلْعُيونِ ٱلْغَريبَةِ
تَلَفَّتُّ فَٱرْتاعَ ٱلسُّكونُ عَلىٰ فَمي
وَكِدْتُ مِنَ ٱلإِشْفاقِ أُمْسِكُ خَفْقَتي
أَمُدُّ أَمامي ٱلطَّرْفَ وَٱللَّيْلُ مُوحِشٌ
فَيُوغِرُ في جَفْنَيَّ نَظْرَةَ خيفَةِ

تَمُرُّ عَلَيَّ ٱلذِّكْرَياتُ فَأَنْطَوي

أُجَدِّدُ فيها غُرْبَةً بَعْدَ غُرْبَةِ

أَطَلَّتْ عَلىٰ دُنْيايَ فَٱنْتَفَضَ ٱلْمَدىٰ

وَخِلْتُ عُيونَ ٱللَّيْلِ تَرْقُبُ حَيْرَتي

وَأَوْمَأَتِ ٱلْأَضْواءُ وَٱنْقَضَّ مارِدٌ

فَغالَ بِأَجْفاني بَقِيَّةَ يَقْظَةِ

وَصَعَّدْتُ أَبْصاري أُراوِدُ نَجْمَةً

وَأَبْحَثُ حَوْلي عَنْ طَريقٍ قَريبَةِ..

أَدُقُّ عَلىٰ أَبْوابِ لَيْلٍ مُغَلَّقٍ

تَئِنُّ عَلىٰ زَنْدي وَتُوهِنُ قَبْضَتي

أَصيحُ بِها وَٱلذِّكْرَياتُ شَواخِصٌ

فَتَبْرُزُ لي مِنْها عَجائِزُ جِنَّةِ

يُقَرِّبْنَ مِنْ وَجْهي ٱلسِّراجَ فَلا أَرىٰ

سِوىٰ شَفَةٍ حَمْراءَ تُنْذِرُ مُقْلَتي

عَجائِزُ جِنٍّ يَنْتَحِبْنَ فُجاءَةً

فَأُبْصِرُ في أَحْداقِهِنَّ طُفولَتي ..

أَدُقُّ فَتَنْهارُ ٱلسُّدودُ عَلىٰ ٱلثَّرىٰ

وَيَدَّافِعُ ٱلْخُفَّاشُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

وَتُخْرَقُ أَسْتارٌ وَتَفْغَرُ ظُلْمَةٌ

تَمُرُّ بِها أَشْباحُ أَرْضٍ مُرِيبَةِ

مَواكِبُ شَتّىٰ ، تَشْرَئِبُّ ظِلالُها

فَيَعْثُرُ طَرْفي بِٱلطُّيوفِ ٱلْمُلِمَّةِ

يَكادُ ٱلصَّدىٰ ٱلْمَخْنوقُ يَصْرُخُ في دَمي

فَتَشْهَقُ أَنْفاسي وَتوغِلُ نَظْرَتي ..

هُنا بُرْكَةٌ سَوْداءُ جاعَ سَوادُها

وَسالَ عَلىٰ أَمْواجِها دَمُ نَجْمَةِ

وَهاوِيَةٌ يَعْشو إِلَيَّ يَراعُها

فَتَزْلَقُ أَقْدامي وَتَعْثُرُ خُطْوَتي

أُطيلُ بِها صَمْتي فَيَطْرُقُ مِسْمَعي

تَهانُفُ مَجْنونٍ وَصَرْخَةُ مَيِّتِ

وَغابَةُ أَحْداقٍ تَحَجَّرَ ماؤُها

فَلَمْ يَبْقَ في أَجْفانِها غَيْرُ دَمْعَةِ

تُحَدِّقُ في اللَّيْلِ الْمَخوفِ فَتَرْتَمي

عَلىٰ دَرْبِيَ الْمَصْعوقِ أَلْفُ شَظِيَّةِ

وَأَنْصابُ حُلْمٍ في الظَّلامِ أَتَيْتُها

أُمَرِّغُ أَهْدابي وَأَحْمِلُ تَوْبَتي

أَدُقُّ فَتَلْقاني ٱلشُّكوكُ بِبابِها

فَأَسْحَقُ قُرْباني وَأَخْنِقُ لَهْفَتي

وَفي ٱلدَّرْبِ خَمّارٌ يُشيرُ إِلىٰ ٱلذُّرىٰ

فَيَجْأَرُ في أَقْداحِهِ فَمُ كَرْمَةِ

أَلَمَّ بِهِ ٱلسُّمّارُ ذاتَ عَشِيَّةٍ

فَلَمْ يَجِدوا في ٱلزِّقِّ غَيْرَ بَقِيَّةِ..

وَقَصْرٌ تَزِفُّ ٱلرّيحُ فَوْقَ بُروجِهِ

وَتَطْرِفُ في أَبْهائِهِ عَيْنُ بُومَةِ

تَرَحَّلَ عَنْهُ ساكِنوهُ وَلَمْ يَزَلْ

يُحَدِّثُ عَنْ أَسْرارِهِ كُلَّ نَسْمَةِ

وَأَغْوارُ قَبْوٍ قَدْ تَأَكَّلَهُ ٱلْبِلىٰ

وَبَحَّتْ عَلىٰ جُدْرانِهِ ٱلصُّمِّ صَرْخَتي

أُقَلِّبُ فيهِ ٱلْعَيْنَ أَطْلُبُ نَجْوَةً

فَأُبْهَتُ حَوْلي بِٱلجِّباهِ ٱلْحَزينَةِ

وَعَرّافَةٌ شَمْطاءُ شاهَ جَبينُها

وَأَطْفَأَ عَيْنَيْها وُجومُ ٱلْعَشِيَّةِ

تَلوكُ بِشِدْقَيْها جَناحَ يَمامَةٍ

وَتَعْصِبُ زَنْدَيْها بِجُفْرَةِ حَيَّةِ

أَمُدُّ لَها كَفّي فَيَزْعَقُ طائِرٌ

وَتُرْجِفُ في غَوْرِ ٱلظَّلامِ سَكينَتي

أَنا الطّارِقُ ٱللَّيْلِيُّ عُلِّقَ طَرْفُهُ

عَلىٰ أُفُقٍ لَمْ يَبْدُ بَعْدُ لِمُقْلَةِ

أَدُقُّ عَلىٰ ٱلْأَبْوابِ أَسْأَلُ مَنْ أَنا

وَأُنْفِقُ في ٱلدَّرْبِ ٱلشَّحيحِ فُتُوَّتي

أُفَتِّشُ عَنْ لا شَيْءَ . . عَنْ حُلْمِ خالِقٍ

تُؤَرِّقُـــهُ أَشْـواقُ روحٍ سَجينَـةِ

إِذا ٱخْتَنَقَتْ في ناظِرَيْـهِ حَقيقَـةٌ

تَداعَتْ لَها في ٱلْـقَلْبِ أَلْفُ حَقيقَـةِ . .

وَأَوْمَـأْتُ أَسْتَجْدي ٱلسَّماءَ فَأَجْهَشَتْ

وَراءَ ٱلْغُيومِ ٱلـرُّبْـدِ أَرْفَـعُ قِمَّـةِ

وَصَلْصَلَتِ ٱلْأَغْلاقُ وَٱنْقَضَّ كَوْكَبٌ

وَأَنَّ الصَّدىٰ ٱلْمَخْنوقُ في كُلِّ بُقْعَـةِ

وَغُلِّقَتِ ٱلْأَبْوابُ وَٱمَّحَتِ ٱلـرُّؤىٰ

وَكِـدْتُ مِنَ ٱلإِعْيـاءِ أُنْـكِرُ وَقْـفَتي

وَنادَيْتُ : مَنْ هٰـذا . . ؟ فَـلَمْ أَعِ فَجْأَةً

سِوىٰ ٱلرّيحِ تَبْـكي في ٱلدُّروبِ ٱلْبَعيدَةِ !

١٩٥٤

الرسالة الزرقاء

أَأَنْتِ كَتَبْتِ أَحْرُفَهـا أَأَنْتِ
وَكَيْفَ كَتَبْتِهـا وَلِمَنْ كَتَبْتِ
أَلي هٰـذا ٱلْأَريجُ يَدُقُّ بابي
وَيَقْهَرُ وَحْشَتي وَيَـدُكِ صَمْتي
تَضَوَّعَ في ٱلسُّطورِ فَكِدْتُ أَنْسىٰ
بِهِنَّ مَرارَةِ ٱلزَّمَنِ ٱلْمُشِتِّ
وَكُنْتِ تُعَلِّلينَ بِهـا عُيوني
إِذا نَـأَتِ ٱلدِّيارُ فَهَـلْ ذَكَرْتِ . .
أُقَبِّلُهـا . . وَأَدْفِنُهـا بِصَـدْري
كَأَنَّكِ خَلْفَ أَحْرُفِها ٱسْتَتَرْتِ !

وَقيلَ : رِسالَةٌ ! فَأَصاخَ قَلْبي

وَهَزَّ جَوانِحي قَلَقٌ وَخَفْقُ

فَضَضْتُ غِلافَها فَبَكىٰ شَبابٌ

وَأَنَّ تَجَلُّدٌ وَٱنْهارَ شَوْقُ

فَثَمَّ دُعابَةٌ .. وَهُناكَ خَطٌّ

يَدورُ مَعَ ٱلْحُروفِ وَيَسْتَدِقُّ

وَثَمَّةَ لَفْظَةٌ مُحِيَتْ .. وَأُخْرىٰ

أَطاحَ بِها ٱلْيَراعُ فَضاعَ شِقُّ

أَهيمُ خِلالَهـا فَتَهي سُدودٌ

وَيُفْتَحُ عالَمٌ وَيُضيءُ أُفْقُ !

أَكانَ ٱللَّيْلُ يَعْلَمُ أَيَّ سِرٍّ

تَنوءُ بِهِ ٱلضُّلوعُ أَكانَ يَعْلَمْ ؟

أَكانَ يَرِقُّ لِلذِّكَرِ ٱلْحَيارىٰ

وَيُطْرِقُ وَهْيَ ثائِرَةٌ وَيَأْلَمْ ..

حَكىٰ لِيَ عَنْ تَنَهُّدِها دُجاهُ

فَكَيْفَ حَنا عَلَى يَدِها وَسَلَّمْ

أَما لَثَمَ ٱلْأَنامِلَ مُرْعَشاتٍ

أَما نَشَقَ ٱلْعَبيرَ .. أَما تَكَلَّمْ

أَما ٱحْتُضِرَ ٱلسِّراجُ عَلىٰ لُهاثٍ

يُزَلْزِلُ هَدْأَةَ ٱللَّيْلِ ٱلْمُنَعَّمْ ؟ !

دَعَوْتُكِ وَٱلرَّبيعُ يَطُلُّ زَهْري
وَقَلْبُكِ في ٱلْقُيودِ يَدوسُ زَهْرَهْ
أَضاعَ ٱلذِّكْرَياتِ فَهَمَّ يَشْكو
وَأَوْشَكَتِ ٱلظُّنونُ تَهُدُّ صَبْرَهْ
وَضَجَّ بِهِ ٱلْحَنينُ فَباحَ دَمْعٌ
أَكادُ عَلَى ٱلْحُروفِ أُحِسُّ كِبْرَهْ
وَثارَ عَلَى ٱلْجِراحِ مُرَوَّعاتٍ
وَأَشْفَقَ أَنْ يُبيحَ لَهُنَّ سِرَّهْ
تَجَلَّدَ ما تَجَلَّدَ . . ثُمَّ فاضَتْ
لَواعِجُهُ وَنَدَّتْ مِنْكِ زَفْرَهْ . .

وَقُلْتِ : شَقِيَّة ! فَذَكَرْتُ أَمْسي

وَكِدْتُ أُحِسُّ في ٱلْوَرَقِ ٱرْتِعاشَهْ

أَأَنْتِ شَقِيَّةٌ ؟ فَلِمَنْ هَزارٌ

يُمَهِّدُ في حَدائِقِنا عِشاشَهْ

لِمَنْ هٰذا ٱلنُّوارُ هَمىٰ شَذاهُ

وَمَدَّ بِكُلِّ رابِيَةٍ فِراشَهْ

لِمَنْ هٰذا ٱلصَّباحُ يَغارُ مِنّا

وَيَنْهَلُ مِنْ بَشاشَتِنا بَشاشَهْ

يُقَلِّدُهُ ٱلرَّبيعُ نِطاقَ وَرْدٍ

وَتَهْزَجُ في مَواكِبِهِ فَراشَهْ . .

أَأَنْتِ شَقِيَّةٌ ! فَلِمَنْ نُجُومٌ
تَلوبُ عَلَى مَحاجِرِنا ٱلشَّجِيَّهْ ..
فَرَشْتُ لَكِ ٱلطَّريقَ تِلالَ نَوْرٍ
وَجِئْتُ بِكُلِّ زَنْبَقَةٍ نَدِيَّهْ
وَراحَ ٱللَّيْلُ يَحْلُمُ في جُفوني
وَتَخْتالُ ٱلْغُيومُ عَلَى يَدَيَّهْ ..
أَأَنْتِ شَقِيَّةٌ ! وَلَدَيْكِ راعٍ
تَحومُ عَلَيْكِ نَظْرَتُهُ ٱلْوَفِيَّهْ
يُوَشْوِشُ في ٱلصَّباحِ لَكِ ٱلتَّحايا
وَيَنْسِجُ لِلْمَساءِ رُؤىً سَنِيَّهْ !

رِسالَتُكِ ٱلأَنيقَةُ ! أَيُّ حُلْمٍ
يَشُقُّ لِيَ ٱلدُّروبَ وَأَيُّ بُشْرىٰ
أَوَيْتُ لَهَا أُرَدِّدُ كُلَّ حَرْفٍ
وَأَفْتَحُ في ٱلْجُفونِ لَهَا مَقَرَّا
أُقَلِّبُهَا .. فَتَنْهَمِرُ ٱلدَّراري
وَتَمْتَلِىءُ ٱلطَّريقُ نَدىً وَعِطْرا
وَأَفْتَحُهَا فَيُدْرِكُني ذُهولٌ
فَأَقْرَأُ تارَةً وَأَهيمُ أُخْرىٰ
وَأَحْمِلُهَا فَتَسْكُنُ في ظُنوني
وَتوقِرُ أَضْلُعي قَلَقاً وَشِعْرا ..

اتِلْكَ قُصاصَةٌ ؟ أَأَنا خَيالٌ

تَهُمُّ شُجونُهُ فَتَكادُ تَحْكي

يَكادُ الْأَمْسُ يَلْهَثُ في عُروقي

وَيَزْرَعُ في جُفوني أَلْفَ شَكٍّ

بَعَثْتِ بِهـــا إِلَيَّ فَجُنَّ شَوْقي

وَنُؤْتُ بِوَحْشَتي وَسَئِمْتُ نُسْكي

فَأَتْرُكُها عَلىٰ رَهَقٍ وَأَمْنٍ

وَتَتْرُكُني عَلىٰ قَلَقٍ وَفَتْكِ

أُحاوِلُ أَنْ أُكَلِّمُها فَأَعْيا

فَأَقْرَأُ ثُمَّ أَقْرَأُ .. ثُمَّ أَبْكي !

١٩٥٤

أمّنا الأرض

لَمْ يَبْقَ لِلْأَرْضِ غَـــــدُ
فَلْتُـدْرِكِ ٱلْجُرْحَ يَـــدُ
الفَجْرُ كابٍ وَٱلنَّـدىٰ . . مُرَوَّعٌ . . مُهَـدَّدُ
وَٱلْقُبَّـةُ ٱلـزَّرْقـاءُ في غُـرْبَتِهـا تَرْتَعِـدُ
وَفي ٱلدُّروبِ قِصَّـةٌ تُرْوىٰ . . وَظِلٌّ مُجْهَـدُ !
ماذا أَرىٰ ؟ هٰـذي يَدي تُشْفِقُ مِمّـا تَجِـدُ
أَنـامِـلٌ سالَ بِهـا ٱلشَّـكُّ فَـكادَتْ تَقِـدُ

وَخَمرَة في أَعْيُنِ ٱلنّاسِ تَكادُ تَنْفَدُ

وَناظِرٌ مُقَنَّعٌ . . عَلىٰ ٱلطَّريقِ رَصَدُ

أَيُّ فَمٍ مُخْتَنِقٍ يَجْأَرُ فيهِ ٱلْمَوْعِدُ !

ٱللَّيْلُ قَدْ هَمَّ بِنا فَهَلْ يَنوءُ ٱلْعَضُدُ

هٰذي رُؤىٰ عالَمِنا ضاقَ بِهِنَّ ٱلْأَمَدُ

هَيا كِلٌ تَنْبَحُها ٱلرّيحُ . . وَبابٌ موصَدُ

وَمُقْلَةٌ حَمْراءُ في ٱللَّيْلِ أَطَلَّتْ تَشْهَدُ

وَوَثَنٌ جُنَّ بِهِ ٱلنّاسُ . . وَعَبْدٌ سَيِّدُ

وَظُلْمَةٌ أَنَّ بِها ٱلصَّمْتُ فَضَجَّ ٱلْأَبَدُ

وَجَفَّتِ ٱلْأَدْمُعُ في ٱلْعَيْنِ وَغُمَّ ٱلْمَقْصِدُ

وَجُنَّ في ٱلْأَرْوِقَةِ ٱلْخُرْسِ غُرابٌ كَمِدُ . .

وَٱلْجَذْوَةُ ٱلْكُبْرىٰ خَبَتْ وَلَمْ تَكَدْ تَتَّقِدُ

أَطْفَأَها في ٱلْهَيْكَلِ ٱلْمَقْرورِ لَيْلٌ مُرْعِدُ
وَٱلْقَلبُ في وَحْدَتِهُ .. مُعَذَّبٌ .. مُقَيَّدُ
وَفي ٱلطَّريقِ شَبَحٌ يَسْأَلُ ماذا يَعِدُ ..
ماذا يَقولُ ٱللَّيْلُ إِنْ عَرْبَدَ صَوْتٌ نَكِدُ
وَٱخْتَنَقَتْ عَلَى ٱللَّهاةِ صَيْحَةٌ تُرَدَّدُ
وَأَوْمَأَتْ في عَشْوَةِ ٱلدَّرْبِ يَدٌ تَرْتَعِدُ ؟
أَتَجْحَدُ ٱلظُّلْمَةُ مِنْ آياتِنا ما تَجْحَدُ
وَيُطْبِقُ ٱللَّيْلُ .. وَفي ٱلْهُدْبِ رَبيعٌ سَرْمَدُ !
كُنّا وَكانَ ٱلْوَرْدُ في راحاتِنا يَحْتَشِدُ
كانَ لَنا ٱلْحَقْلُ ٱلْكبيرُ .. وَٱلرُّبى .. وَٱلْوُهُدُ
وَكانَ كُلُّ فَرْقَدٍ يَحْنو عَلَيْهِ فَرْقَدُ
كانَ لَنا جَنائِنٌ يَحْلو بِهِنَّ ٱلسَّهَدُ

وَسَرْوَةٌ عَلَى ٱلضِّفَافِ نَزَلَتْ تَبْتَرِدُ

وَطَائِرٌ مُهَاجِرٌ .. مَعَ ٱلرَّبِيعِ يَفِدُ

وَغَيْمَةٌ ضَاحِكَةٌ يَسْأَلُ عَنْهَا ٱلْمَوْرِدُ

وَمَوْعِدٌ مَعَ ٱلشَّذَىٰ .. مُؤَكَّدٌ .. مُخَلَّدُ

كُنَّا نَعِيشُ ٱلشَّوْقَ .. وَٱلشَّوْقُ غَدٌ مُمَهَّدُ

وَنَتْبَعُ ٱلنَّجْمَ إِذَا أَوْمَأَ نَجْمٌ مُجْهَدُ

كُنَّا نَعِيشُ ٱلْحُلْمَ .. وَٱلْحُلْمُ رُؤًى تَطَّرِدُ

وَنَصْدَعُ ٱللَّيْلَ إِذَا عَسْعَسَ لَيْلٌ أَرْبَدُ

كَأَنَّ أَلْفَ كَوْكَبٍ تُولَدُ حِينَ نُولَدُ ..

مَاذَا دَهَىٰ ٱلْأَرْضَ .. وَزَنْدِي لَمْ يَزَلْ يُشَيِّدُ ؟

أَيَشْهَقُ ٱلطَّلُّ عَلَى ٱلْوَرْدِ .. أَيَخْبُو ٱلْفَرْقَدُ

أَتَخْفُتُ ٱلصَّيْحَةُ فِي فِيَّ وَيَبْكِي ٱلْجَلْمَدُ !

أَنا عَلَى ٱلنَّجْمِ ٱلْبَعيدِ .. مُطْرِقٌ .. مُسَهَّدُ
أَرودُهُ بِناظِرٍ .. أَرَّقَهُ ٱلتَّمَرُّدُ
أُثَقِّلُ ٱلطَّرْفَ فَتَفْتَرُّ ٱلرُّؤىٰ وَتَنْهَدُ
هٰذي يَدي تَحْنو عَلَى ٱلْبَحْرِ .. فَيَعْلو ٱلزَّبَدُ
أَمُدُّها فَيورِقُ ٱلصَّخْرُ وَيَنْدىٰ ٱلْفَدْفَدُ
أَنْثُرُ مِنْ أَنْمُلِهـا ٱلْحُلْمَ فَيَغْفو ٱلْأَبَدُ
وَأَحْمِلُ ٱلصُّبْحَ وَزَهْوَ ٱلصُّبْحِ حِينَ يَصْعَدُ
وَخُضْرَةَ ٱلْقَمْحِ إِذا ٱنْهَلَّتْ غُيومٌ حُشَّدُ
وَلَهْفَةَ الرّيحِ إِذا ٱحْلَوْلَكَ يَمٌّ مُزْبِدُ
وَأَيْكَةً تَسْرُدُ في نَشْوَتِها ما تَسْرُدُ ..
أَيُطْبِقُ ٱللَّيْلُ .. وَفي عَيْنَيَّ قَدْ شَعَّ غَدُ !؟
ٱلظِّلُّ ظِلّي في ٱلطَّريقِ .. وَٱلتُّرابُ مَوْعِدُ

أَتَيْتُ أَسْتَلُّ ٱلنُّجومَ .. وَٱلنُّجومُ أُبَّدُ

جَفْنٌ يُنَدِّيهِ ٱلْهَوىٰ وَعَزْمَةٌ تَتَّقِدُ

وَجَبْهَةٌ ضَجَّ بِها ٱلْكِبْرُ .. وَبَحَّ ٱلْجَلَدُ

وَلَمْ أَزَلْ عَلَى ٱلدُّروبِ أَرْتَمي وَأَجْهَدُ

تُؤَرِّثُ ٱلنّارَ يَدٌ .. وَتَبْذُرُ ٱلْحُبَّ يَدُ !

١٩٥٥

أمطار

كُنّا نُصيخُ ! وَكانَتِ ٱلْأَمْطارُ دافِقَةً سَخِيَّهْ
وَٱلرِّيحُ تَصْفِرُ .. وَٱلظِّلالُ تَمُرُّ مُتْعَبَةً شَجِيَّهْ
وَعَلَى ٱلْعُيونِ تَلَفُّتٌ باكٍ .. وَأَشْواقٌ عَتِيَّهْ !
كُنّا نُصيخُ .. أَتَذْكُرينَ ؟
وَكُنْتِ ذاهِلَةً .. قَصِيَّهْ
عَيْناكِ تائِهَتانِ .
تَضْطَرِبانِ إِنْ رَنَتا إِلَيَّهْ
عَجَبًا ! أُذَكِّرُكِ ٱلْعُهودَ .. فَتُمْسِكينَ بِراحَتَيَّهْ

وَأُسِرُّ في أُذُنَيْكِ أُمْنِيَةً مُعَذَّبَةً . . نَدِيَّهْ

ماذا أَرىٰ ! هٰذا ٱلْفَمُ ٱلْمُرْتابُ يَجْرَحُ ناظِرَيَّهْ

أَتُقاوِمينَ ؟ جِراحُكِ ٱلْبَكْماءُ لاتَخْفىٰ عَلَيَّهْ !

هَلْ تَذْكُرينَ تَأَوُّهَ ٱلْإِعْصارِ في تِلْكَ ٱلْعَشِيَّهْ ؟

حَدَّقْتِ بي ! فَرَأَيْتُ مَقْبَرَةً تُطالِعُ مُقْلَتَيَّهْ

وَغَمامَةً دَكْناءَ يُهْرِقُها الظَّلامُ علىٰ يَدَيَّهْ

وَزَفَرْتِ . . فَٱنْتَحَرَتْ عَلَى ٱلشَّفَتَيْنِ وَشْوَشَةٌ خَفِيَّهْ

وَصَمَتِّ . . فَٱنْهَدَّ ٱلظَّلامُ وَحَشْرَجَتْ سُرُجٌ قَصِيَّهْ

وَرَأَيْتُني وَحْدي أَضُمُّ رُفاتَ أُمْنِيَةٍ شَقِيَّهْ

وَأُحِسُّ ظِلَّ جَنازَةٍ خَرْساءَ يَعْبُرُ ناظِرَيَّهْ

. . . . . .

كُنا نُصيخُ ! وَكانَ في عَيْنَيْكِ أَمْطارٌ سَخِيَّهْ !

١٩٥٤

هي

١

مَتىٰ يَطْلُعُ ٱلنَّجْمُ ؟ إِنّي ظَمي
أَفي ٱللَّيْلِ دَرْبُكِ أَمْ في دَمي
طَريقُكِ خُطَّ عَلَى مَحْجِرَيَّ
فَلَوْ جِئْتِ قَبْلِيَ لَمْ يُرْسَمِ !
خُلِقْتِ فَدَبَّ ٱلْهَوىٰ في ٱلْعُروقِ
وَأَجَّ مِنَ ٱلشَّوْقِ في أَعْظُمي
فَلَمْ أَرَ غَيْرَكِ في ناظِرَيَّ
وَلَمْ أَعِ غَيْرَ ٱلْهَوىٰ في فَمي

أُحِسُّكِ في ٱلظَّنِّ أَنِّيْ أَسْتَقَرَّ

فَيوشِكُ سِرُّكِ أَنْ يَرْتَمي

وَفي ٱللَّيْلِ يَلْهو عَلَى ساعِدَيَّ

فَتَزْحَمُ أَنْجُمَهُ أَنْجُمي

وَفي ٱلجَفْنِ يَشْرَقُ بِٱلذِّكْرَياتِ

فَيُطْبِقُ فَوْقَ غَدٍ مُبْهَمِ

فَأَنْتِ هُنا مُنْذُ كانَ ٱلْوُجودُ

وَأَنْتِ هُنا قَبْلَ أَنْ تَعْلَمي

جَبينٌ يُكَلِّلُني بِالْخُلودِ

وَهُدْبٌ يَهُلُّ لَهُ مَوْسِمي

وَحُلْمٌ أَبوحُ بِهِ لِلنُّجومِ

فَأَسْمَعُ أَنَّتَها في دَمي !

٢

أَأَذْكُرُ مَنْ أَنْتِ ؟ وَٱلْكِبْرِياءْ
تُرِيدُ لِحُبِّيكِ أَنْ يُكْتَتَمْ
إِذا ما ذَكَرْتُكِ هَلَّ ٱلرَّبِيعُ
وَرَقَّ ٱلزَّمانُ وَتابَ ٱلْأَلَمْ
وَمُدَّ لِيَ ٱلْأُفْقُ حَتّىٰ رَأَيْتُ
بُزوغَ ٱلْحَياةِ وَبَدْءَ ٱلْعَدَمْ !
أَلُمُّ ٱلْعُصُورَ عَلَى ناظِرَيَّ
وَأَسْمَعُ غَمْغَمَةً في ٱلْعَتَمْ

وَوَسْواسَ حُورِيَّةٍ تَشْرَئِبُّ

وَراءَ ٱلْغَمامِ وَفَوْقَ ٱلْأَكَمْ

تُنَقِّلُ رِجْلَيْنِ مَسْحورَتَيْنِ

وَتَمْسَحُ جَبْهَتَها بِالدِّيَمْ

أُصيخُ لِخَلْجَتِها في ٱلدُّروبِ

وَأَسْمَعُ أَنْفاسَها في ٱلظُّلَمْ

أَظَلُّ إِذا ما ٱرْتَمَتْ في ٱلْغُيومِ

أُحِسُّ بِناظِرِها لَمْ يَنَمْ..

أَهُمُّ أُعانِقُها في ٱلظَّلامِ

فَيَصْرُخُ قَلْبٌ وَيَشْهَقُ فَمْ

أَمُدُّ يَدي فَتَزِلُّ ٱلنُّجومُ

وَيَبْكي ٱلدُّجىٰ وَتَئِنُّ ٱلْقِمَمْ!

٣

لِماذا أُحِبُّكِ ؟ إنَّ الوُجودَ
وُجودُكِ فِيَّ .. فَهَلْ تَعْلَمِينْ
هُنا في دَمي تَأْخُذينَ الطَّريقَ
هُنا تَسْكُنينَ .. هُنا تَخْتَفينْ
هُنا في دَمي .. في العُروقِ الظِّماءِ
هُنا في العُيونِ هُنا في الجَبينْ
خُلِقْتِ لِخَوْفِيَ .. لِلذِكْرَياتِ
لِغُصَّةِ حُلْمٍ ضَنينٍ .. ضَنينْ

لِجَفْنٍ أُمَزِّقُهُ بِالشُّكوكِ

وَجَفْنٍ أُهَدْهِدُهُ بِالْيَقينْ

لِقَلْبَيْنِ طِفْلَيْنِ .. لِلْكِبْرِياءِ

لَوَمْضِ الْمُنىٰ .. لِاُفْتِرارِ السِّنينْ !

أَتَيْتِ وَكانَ الْهَوىٰ في الْفُؤادِ

يُهيبُ بِمَوْعِدِهِ أَنْ يَحينْ

وَما زِلْتِ في ناظِري تَكْبُرينَ

وَيَكْبُرُ حُبٌّ وَيَقْوىٰ حَنينْ

أَضُمُّكِ حَتّىٰ يَغيبَ الْوُجودُ

وَأُمْطِرُ عَيْنَيْكِ بِالْياسَمينْ

وَأُبْحِرُ في لَيْلِكِ الْمُخْمَلِيِّ

عَلَى قَمَرٍ مُخْمَلِيٍّ حَزينْ !

٤

تَبارَكْتِ يا أُخْتُ ! لَوْ لَمْ أُحِبَّ
أَكُنْتُ أُطيقُ الْوُجودَ الْقَلِقْ
أَكُنْتُ أُزَوِّقُهُ بِالنُّجومِ
وَأَفْرُشُهُ بِالرَّبيعِ الْوَرِقْ
أَكُنْتُ أَلُمُّ جِراحَ الْمَساءِ
وَأَبْكي الْغُيومَ الَّتي تَحْتَرِقْ !
أَكُنْتُ أُطيقُ انْقِباضَ الشِّتاءِ
وَعَرْبَدَةَ الْمَطَرِ الْمُنْدَفِقْ

تَبارَكْتِ يا أُخْتِ! لَوْ لَمْ أُحِبَّ
أَكُنْتُ أُطيقُ ٱلسَّرابَ ٱلْأَرِقْ
أَكُنْتُ أُطيقُ ٱصْطِخابَ ٱلظُّنونِ
وَأَتْرُكُها في دَمي تَعْتَنِقْ
أَكُنْتُ أَخوضُ دُروبَ ٱلْحَياةِ
وَأَحْمِلُ أَشْواكَها إِنْ تَضِقْ
أَكُنْتُ أُحِسُّ ٱنْتِشاءَ ٱلْكُرومِ
وَأَنْشَقُ طيبَ ٱلْجِراحِ ٱلْعَبِقْ
أَكُنْتُ أُحِبُّ ٱلْفَضاءَ ٱلْعَريضَ
وَأَعْدو وَراءَ ٱلْفَراشِ ٱلنَّزِقْ
تَبارَكْتِ يا أُخْتُ! لَوْ لَمْ أُحِبَّ
أَكُنْتُ أُطيقُ ٱلْوُجودَ ٱلْقَلِقْ!

٥

وَقيلَ: تُرىٰ لَوْ خَلَقْتُ ٱلْوُجودَ..

فَخِلْتُ يَدَ ٱللهِ مُدَّتْ لَنا

وَقيلَ: هَلا! فَٱشْرَأَبَّ ٱلصَّباحُ

وَنَدّىٰ بِأَطْيابِهِ دَرْبَنا

وَجِئْنا صَغيرَيْنِ نَرْعىٰ ٱلْغُيوبَ

وَنَحْبِسُ أَخْبارَها عِنْدَنا

نُفيقُ عَلىٰ ٱلْحُبِّ في ٱلنّاظِرَيْنِ

وَنُغْلِقُ بِٱسْمِ ٱلْهَوىٰ طَرْفَنا!

وَقيلَ : هُوَ ٱلْبَدْرُ شَقَّ ٱلْغُيومَ

وَمَدَّ ذَوائِبَهُ فَوْقَنا

وَدارَ بِشَلّالِهِ ٱلزَّنْبَقِيِّ

وَراحَ يَرُشُّ بِهِ يَيْتَنا

وَقيلَ : ٱلسَّماءُ ٱزْدَهَتْ بِٱلنُّجومِ

لِتَنْثُرَ أَضْواءَها حَوْلَنا

وَقيلَ : ٱلْهَوىٰ كانَ قَبْلَ ٱلْوُجودِ

وَقيلَ : ٱلْهَوىٰ لَمْ يَكُنْ قَبْلَنا

وَقيلَ لَنا أَنْ نَجوبَ ٱلدُّروبَ

وَنَعْبُرَها مَوْطِناً مَوْطِنا

وَقيلَ لَنا وَحْدَنا أَنْ نُحِبَّ

فَكَيْفَ يَعيشُ ٱلْهَوىٰ بَعْدَنا ؟!

٦

تَبارَكْتِ يا أُخْتُ ! مالي أُحِسُّ

كَأَنَّ ٱلنَّدىٰ في يَدَيَّ ٱحْتَرَقْ

أَهٰذا أَريجُكِ أَغْوىٰ ٱلْفَراشَ

وَسَدَّ ٱلدُّروبَ وَرَشَّ ٱلْوَرَقْ

أَكادُ أَلُمُّ خُيوطَ ٱلْغَمامِ

وَأَجْني ٱلشَّذا وَأَضُمُّ ٱلْأَلَقْ

فَرَشْتِ لِيَ ٱلدَّرْبَ بِٱلذِّكْرَياتِ

فَذُقْتُ ٱلْهَوىٰ وَعَرَفْتُ ٱلْأَرَقْ

وَأَغْلَقْتُ طَيْفَكِ في ناظِرَيَّ
فَعَبَّ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَتّىٰ شَرِقْ !
أَكادُ أَرىٰ شَفَةً تَطْمَئِنُّ
وَأُخْرىٰ تُعاتِبُني في قَلَقْ
وَجَفْناً يَضِجُّ بِهِ ٱلْعُنْفُوانُ
وَتَنْدىٰ ٱلرِّمالُ إِذا مَا نَطَقْ
أَلوبُ عَلىٰ زُرْقَةٍ في ٱلْعُيونِ
وَأَغْفو عَلىٰ حُلُمٍ يُسْتَرَقْ
وَإِيماءَةٍ تَصِلُ ٱلْمَشْرِقَيْنِ
وَتُدْني ٱلسَّماءَ وَتَجْلو ٱلْغَسَقُ
وَوَعْدٍ عَلىٰ شَفَةٍ يَشْرَئِبُّ
أَكادُ أُقَبِّلُهُ بِٱلْحَدَقْ !

٧

أَعَيْنُكِ تَسْأَلُني أَنْ أَنامَ
وَأُنْكِرَ هٰذي الرُّؤىٰ الْمُرْهَقَهْ؟
سَماؤكِ مُثْقَلَةٌ بِالْغُيومِ
وَدَرْبُكِ مُوحِشَةٌ ضَيِّقَهْ
وَأَنْتِ هُنا.. في زِحامِ الطَّريقِ
تَلوبينَ حائِرَةً مُطْرِقَهْ
أَضُمُّ عَلَيْكِ سِنِيَّ الظِّماءَ
وَلَهْفَةَ أَيّامِيَ الرَّيِّقَهْ

وَأَغْفو وَلِلشَّوْقِ في ناظِرَيَّ
تَنَهُّدُ سافِيَةٍ مُحْرِقَهْ ..
هُوَ ٱلْقَلْبُ نَدَّ وَراءَ ٱلشُّكوكِ
فَقولي لِطَرْفِكِ أَنْ يَصْدُقَهْ
تَرَكْتُ لِجَفْنِكِ غَزْلَ ٱلْبَريقِ
فَأَيُّ ضَبابٍ تُرىٰ أَغْرَقَهْ
وَكَيْفَ تُريدينَ أَنْ أَطْمَئِنَّ
وَهٰذي ٱلظُّنونُ بِنا مُحْدِقَهْ
أَمُدُّ يَدَي لِلظَّلامِ ٱلْكَبيرِ
وَأَخْدِجُ آفاقَهُ ٱلْمُغْلَقَهْ
فَعَيْنٌ تُحاوِلُ هَتْكَ ٱلْغُيوبِ
وَعَيْنٌ مُؤَرَّقَةٌ مُشْفِقَهْ !

٨

أَجَلْ ! أَنا باقٍ أُجيلُ ٱلْعُيونَ
وَأَرْقُبُ كُلَّ فَمٍ يَبْغَتُ
أَكادُ أَرى ٱلشَّوْكَ يُدمي ٱلْوُرودَ
فَيغْلي دَمي عِنْدَما تَنْبُتُ
وَأُصْغي فَتَشْهَقُ في ناظِرَيَّ
فُلولُ رُؤىً أَوْشَكَتْ تُفْلِتُ
وَتَقْتافُني في زَوايا ٱلدُّروبِ
ظِلالٌ تَنوءُ بِما تَكْبُتُ

تُرى مَنْ يَئِنُّ وَراءَ الْغُيومِ
وَيَتْرُكُ أَحْداقَنا تُبْهَتُ

أَلَمْ تَلْمَحي رَجْفَةً في الْمُروجِ
وَقُبَّرَةً في الثَّرى تَنْكُتُ

هُوَ الْأُفْقُ يوشِكُ أَنْ يَكْفَهِرّ
فَأَيّ الظُّنونِ تُرى أُسْكِتُ

فَماضٍ تَلَقَّفَنا في الطَّريقِ
وَغَصَّ بِنا فَيْؤُهُ الْمَيِّتُ

وَأُغْنِيَّةٌ رَوَّعَتْها الشُّكوكُ
فَظَلَّتْ عَلَى شَفَتي تُنْصِتُ

أَغُضُّ لِغُصَّتِها ناظِرَيَّ
وَأَتْرُكُها في دَمي تَخْفُتُ !

٩

قِفي ! لا يَرُعْكِ اُنْطِفاءُ اُلشُّموعِ
وَحَشْرَجَةُ اُلصَّمْتِ في مَعْبَدي
ذَهَبْتِ وَكُنْتُ أَجُرُّ اُلرَّبيعَ
وَراءَ شَبابٍ نَقِيٍّ نَدي
وَخَلَّفْتِني لِلرِّياحِ اُلْغِضابِ
يُدَوِّمُ إِعْصارُها في غَدي
وَلِلَّيْلِ يُدْرِكُني في اُلدُّروبِ
وَيَطْوي بِظُلْمَتِهِ فَرْقَدي

وَللشَّوْقِ يَجْأَرُ في مَحْجِرَيَّ

وَيَتْرُكُ أَشْلاءَهُ في يَدي

وَخَلَّفْتِني لِلْفَراغِ الْعَتِيِّ

تَغولُ وَساوِسُهُ مَشْهَدي

أُحَدِّقُ في اللَّيْلِ حَتّىٰ يَضيقَ

وَأَغْضي عَلىٰ حُلُمٍ أَنْكَدِ

يَلوبُ السَّرابُ عَلىٰ ناظِرَيَّ

وَيَلْهَثُ فَوْقَ فَمٍ مُجْهَدِ

وَماذا تَرَكْتِ سِوىٰ الذِّكْرَياتِ

تُلِحُّ عَلىٰ بابِيَ الْموصَدِ

أُصيخُ فَتَبْكي الْوُرودُ الْعِطاشُ

وَتَنْتَحِرُ الرّيحُ في مَوْقِدي !

١٠

أَأُخْتاهُ! كَيْفَ نُطيقُ ٱلْفِراقَ
وَنَتْرُكُ أَحْلامَنا تَهْرَمُ
كِلانا يَعيشُ عَلىٰ ٱلذِّكْرَياتِ
وَيَزْعُمُ لِلنَّاسِ ما يَزْعُمُ
أَكادُ أَمُدُّ يَدي لِلْغُيوبِ
فَأَعْلَمُ ما لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ
وَماذا أَخافُ؟ وَلي في ٱلنُّجومِ
دُروبٌ مُظَلَّلَةٌ تُرْسَمُ!

أَيَكْذِبُ مَوْعِدُنا .. أَمْ تُراهُ
عَلىٰ فَمِنا لَمْ يَزَلْ يَنْعَمُ
لَنا الْأَرْضُ لا للشِّتاءِ الطَّويلِ
يُعانِقُها لَيْلُهُ الْمُعْتِمُ
وَماذا أَرىٰ ؟ إِنَّ هٰذا الْوُجومَ
يَكادُ وَراءَ فَمي يَنْقِمُ
أَنَحْمِلُ مِصْباحَنا ! أَمْ نَهيمُ
بِظَلْماءَ لَيْسَ بِها أَنْجُمُ
أُحَدِّقُ في طَرْفِكِ الْمُطْمَئِنِّ
فَيُقْلِقُني سِرُّهُ الْمُبْهَمُ
أَكادُ أَرىٰ دَعْوَةً في الْعُيونِ
وَأُمْنِيَةً لَمْ تَزَلْ تَحْلُمُ !

١١

لِيَ ٱللَّيْلُ وَٱلْبَحْرُ وَٱلذِّكْرَياتُ
وهٰذا ٱلْفَضاءُ ٱلسَّحيقُ ٱلسَّحيقْ
أَنا ٱبْنُ ٱلْمَدى ٱلرَّحْبِ أَطْوي ٱلدُّروبَ
وَأَغْشى ٱلذُّرى وَأَلُمُّ ٱلْبَريقْ
أُطَمْئِنُ أَشْرِعَتي لِلرِّياحِ
وَأَرْنو لِأُفْقٍ طَليقٍ .. طَليقْ
وَأُغْلِقُ عَيْنَيَّ حَتّى أُحِسَّ
بِمَوْلِدِ نَجْمٍ رَفيقٍ صَديقْ

وَأَحْمِلُ فَوْقَ يَدي زَهْرَتَيْنِ

تَرَكْناهُما لِلشِّتاءِ الْمُحيقْ

وَأَحْمِلُ قَوْلَكِ لي.. وَالْوُعودَ

وَأَحْمِلُ ما لَمْ تَقُلْ في الطَّريقْ

وَأَحْمِلُ هُدْبَكِ حينَ اطْمَأَنَّ

وَباحَ بِسِرٍّ عَميقٍ .. عَميقْ

وَأَحْمِلُ أُمْنِيَةً في الْفُؤادِ

تُريقُ عَلىٰ غَدِنا ما تُريقْ

تُمَرِّغُ أَهْدابَها في يَدَيَّ

وَتَمْسَحُ جَفْنَيَّ حَتّىٰ أَفيقْ

وَأَنْتِ مَعي.. مَرْفَأٌ في الْخَيالِ

يُراوِدُ كُلَّ شِراعٍ غَريقْ !

١٢

أَأَنْتِ هُنا ؟ أَمْ هِيَ ٱلذِّكْرَياتُ
تُطالِعُ أَجْفانِيَ ٱلْمُسْهَدَهْ
أَنا واقِفٌ في ٱلسُّكونِ ٱلْعَميقِ
أَرودُ غَياهِبَهُ ٱلْمُرْصَدَهْ
كَأَنَّ فَمي طائِرٌ مُجْهَدٌ..
يَلوبُ عَلىٰ شَفَةٍ مُجْهَدَهْ
أَأَنْتِ هُنا ؟ إِنَّ في مَحْجِرَيَّ
رُؤىٰ حُلُمٍ خِفْتُ أَنْ أَفْقِدَهْ

ظِلالٌ تَمُرُّ عَلىٰ ناظِرَيَّ
وَتَذْهَبُ مُصْعِدَةً .. مُصْعِدَهْ
كَأَنَّ صَباباتِنا في ٱلدُّروبِ
تُدَوِّمُ عاصِفَةً مُرْعِدَهْ
أُصيخُ فَتُدْرِكُني في ٱلطَّريقِ
وَتَسْأَلُ طَرْفِيَ مَنْ سَهَّدَهْ
وَتَأْوي إِلَيَّ رُؤايَ ٱلْعِتاقُ
فَأَطْرُقُ أَبْوابَها ٱلْمُوصَدَهْ
أُلِحُّ عَلىٰ ٱلْحُلْمِ حَتّىٰ يَبينَ
فَأَشْهَدُ في ناظِري مَوْلِدَهْ
يَجُرُّ زَنابِقَهُ في ٱلْعُيونِ
وَيَتْرُكُ فَوْقَ فَمي مَوْعِدَهْ !

١٣

مِنَ ٱلْحُلْمِ يُومِضُ في ناظِرَيَّ
وَمِنْ كِبْرِياءِ فَمٍ مُطْبِقِ
وَمِنْ عُنْفُوانِ ٱلْهَوىٰ في ٱلْعُيونِ
تَغُضُّ عَلَى حُلُمٍ شَيِّقِ
وَمِنْ غُصَّةِ ٱلرّوحِ بِٱلذِّكْرَياتِ
وَغَزْلِ غَدٍ مُورِقٍ .. مُورِقِ
وَمِنْ مَوْعِدٍ للطيورِ ٱلْعِطاشِ
عَلىٰ أَيْكَةٍ بَعْدُ لَمْ تُخْلَقِ

وَمِنْ رَوْعَةِ ٱللَّيْلِ فَوْقَ ٱلْجِبالِ
وَهَفَّةِ ثَلْجٍ نَقِيٍّ نَقي
وَمِنْ غَفْوَةِ ٱلْقَمَرِ ٱلْمُطْمَئِنِّ
عَلىٰ أُفُقٍ أَزْرَقٍ أَزْرَقِ
وَمِنْ دِيمَةٍ رَنَّحَتْها ٱلطُّيوبُ
تَصوبُ عَلىٰ بَلْقَعٍ مُمْلِقِ
وَمِنْ غُبْشَةِ ٱلْبَحْرِ عِنْدَ ٱلْمَساءِ
تَرينُ عَلىٰ شاطِىءٍ مُرْهَقِ
وَمِنْ وَحْشَةِ ٱلْجُزُرِ ٱلنّائِياتِ
تُلَوِّحُ لِلْعابِرِ ٱلْمُطْرِقِ
طَلَعْتِ ! فَغَصَّ ٱلْمَدىٰ بِٱلنُّجومِ
وَمُدَّ ٱلطَّريقُ .. فَهَلْ نَلْتَقي ؟

١٤

بَلىٰ إِنَّهُ ٱللَّيْلُ ! لَيْلُ ٱللِّقاءِ
وَهٰذا هُوَ ٱلْغَيْبُ يَرْنو مَعي
أَراجيحُنا فيهِ زَنْدُ ٱلنُّجومِ
وَتُكْأَتُنا غَيْمَةٌ لا تَعي
لَنا ظُلَّةٌ في ضُلوعِ ٱلطَّريقِ
وَأُخْرىٰ تَمَهِّدُها أَضْلُعي
وَنَهْرٌ يَنامُ عَلَى ٱلضِّفَّتَيْنِ
وَيَحْلُمُ بِٱلطَّيْرِ وَٱلْمَنْبَعِ

وَصَفْصافَةٌ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبوحَ

بِسِرِّ عَنادِلِها ٱلْهُجَّعِ ..

تُرىٰ ما لِعَيْنَيْكِ مَذْعورَتَيْنِ

وَلِلْهُدْبِ يُنْكِرُ ما أَدَّعي

كَأَنّي أَرىٰ ظُلْمَةً في ٱلْعُيونِ

تَتوقُ إِلىٰ قَمَرٍ مُزْمِعِ

أَقُلْتِ : غَداً ؟ إِنَّ في مَحْجِرَيَّ

رُفاتَ غَدٍ مُوجَعٍ .. مُوجَعِ

تَنوءُ شِفاهُكِ بِالْأُمْنِياتِ

فَتُطْفِىءُ غُلَّتَها أَدْمُعي

وَتَسّاقَطُ الشُّهْبُ في ناظِرَيْكِ

فَأَعْلَمُ أَنَّكِ لَنْ تَرْجِعي !

١٥

هُنا في شِفاهِكِ لَوْ تَعْلمينَ
وَفَوْقَ فَمٍ مُشْفِقٍ بارِدِ
هُنا في شِفاهِكِ غَصَّ الزَّمانُ
فَظَلَّ يَدورُ عَلىٰ شاهِدِ
تَطَلَّعَ فِيَّ .. فَغُمَّ الطَّريقُ
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ صَدىً شارِدِ !
تُرىٰ أَيْنَ أَذْهَبُ ؟ إِنَّ الْفَراغَ
يَمُدُّ إِلَيَّ يَدَيْ مارِدِ

وَيُومي إِلَيَّ فَتَبْكي ٱلرِّياحُ

وَأَعْثُرُ بِٱلْأَبَدِ الرَّاصِدِ

وَيُحْتَضَرُ ٱلدَّهْرُ في ناظِرَيْنِ

يَلوبانِ فَوْقَ غَدٍ هامِدِ ..

هُنا في شِفاهِكِ غَصَّ ٱلزَّمانُ

فَقَرَّ عَلى شَفَقٍ كامِدِ

وَشَيْءٌ بِعَيْنَيْكِ قالَ ٱلْوَداعَ

فَلَمْ أَرَ غَيْرَ فَمٍ جامِدِ

أَمُدُّ يَدي لِلرُّؤى ٱلْهارِباتِ

فَتُوهِنُ نَظْرَتُها ساعِدي

وَتَزْلَقُ عَيْنايَ مُرْتاعَتَيْنِ

عَلى حَجَرٍ جامِدٍ .. جامِدِ !

١٦

إِلىٰ أَيْنَ مُنْطَلَقي ؟ وَٱلْغُيوبُ
تَروعُ مَجاهِلُها نَظْرَتي
وَلَمْ يَبْقَ في بَيْتِنا للطُّيورِ
سِوىٰ دَمْعَةٍ مُرَّةٍ .. مُرَّةِ
رَجَعْنا ! فَلَمْ أَرَ غَيْرَ ٱلظِّلالِ
تُواكِبُ حَيْرَتُها حَيْرَتي
وَسِرْنا مَعاً في دُروبِ ٱلْحَياةِ
وَراءَ غَدٍ مُخْفِقٍ مَيِّتِ

وَأَوْهَنَنا أَنْ يَطولَ الصِّراعُ

وَنَعْثُرَ بِالشَّكِّ وَالْخَيْبَةِ

وَدَبَّ الْعَياءُ بِنا في الطَّريقِ

وَحَطَّ بِنا اللَّيْلُ في قَفْرَةِ

وَأَوْشَكَ عالَمُنا أَنْ يَغَصَّ

بِرَجْعِ حِكاياتِنا الْحُلْوَةِ

وَبَحَّ النِّداءُ الْعَريضُ الْعَريضُ

فَلَمْ أَعِ مِنْهُ سِوىٰ نَبْأَةِ

وَأَشْفَقْتُ أَنْ تَدْلَهِمَّ الدُّروبُ

فَأَوْقَدْتُ في لَيْلِها شَمْعَتي

وَعُدْتُ أَلُمُّ الْوُعودَ الظِّماءَ

وَآوي بِهِنَّ إِلىٰ وَحْدَتي !

١٧

أَيَبْلىٰ ٱلْهَوىٰ بَعْدَ ذاكَ ٱلرَّبيعِ
وَنَتْرُكُ في ٱلدَّرْبِ ما نُؤْثِرُ
هُوَ ٱلْأَمْسُ يُغْرِقُنا بِٱلْعُهودِ
فَكَيْفَ بِأَيّامِهِ نَكْفُرُ . . ؟
يَروحُ وَتَبْقىٰ لَنا ٱلْكِبْرِياءُ
إِذا باحَ لِلْمَحْجِرِ ٱلْمَحْجِرُ
وَتَبْقىٰ لَنا ظُلَّةٌ في ٱلْمُروجِ
وَصَفْصافَةٌ لَمْ تَزَلْ تَذْكُرُ

وَيَبْقى لَنا كَوْكَبٌ في ٱلْفَضاءِ

يَكادُ بِأَشْواقِنـــا يَعْثُرُ

وَتَبْقى بَيادِرُنا .. وَٱلْحَصادُ

وَسُنْبُلَةٌ بِٱلنَّـدى تَقْطُرُ

وَدالِيَةٌ في ٱلْفِنـاءِ ٱلْوَريقِ

بِذِكْرِ أَحادِيثِنا تَسْكَرُ

وَيَبْقى تَلَفُّتُنـا لِلْأَصيلِ ..

وَمَوْعِدُنا ٱلْأَبْيَضُ ٱلْخَيِّرُ

وَتَبْقى لَنا ذِكْرَياتُ ٱلصِّبا

نُرَدِّدُهـا عِنْدَما نَكْبُرُ

سَتَتْرُكُ أَحْفادَنا يَضْحَكونَ

وَتَتْرُكُنا نَحْنُ نَسْتَعْبِرُ !

١٨

أَأَهْرُبُ مِنْكِ ؟ وَأَيْنَ ٱلْمَفَرُ
وَعالَمُنا ضَيِّقٌ مُوصَدُ
وَأَبْوابُنا زَعْزَعَتْها ٱلرِّياحُ
وَهَمَّ بِها عاصِفٌ مُرْعِدُ
وَكَيْفَ ؟ أَأَهْرُبُ وَٱلذِّكْرَياتُ
يُطالِعُنا وَجْهُها ٱلْمُجْهَدُ
فَفي كُلِّ دَرْبٍ لَنا وَقْفَةٌ
وَفي كُلِّ حِرْجٍ لَنا مَقْعَدُ . .

لَكِ ٱللَّيْلُ يَنْسُلُ مِنْكِ ٱلضِّياءَ

وَلي فَوْقَ أَنْجُمِهِ مَرْقَدُ

وَدَرْبُكِ دَرْبي إِذا ما ٱقْتَرَبْتِ

أَحَسَّ ٱلثَّرى وَٱنْتَشى ٱلْجَلْمَدُ

نَمُرُّ فَيَسْأَلُ عَنّا ٱلْعَبيرُ

وَيَتْبَعُنا ٱللَّيْلُ وَٱلْفَرْقَدُ

فَنَجْمٌ عَلَى غَدِنا يَشْرَئِبُّ

وَنَجْمٌ عَلَى يَدِنا يَرْقُدُ

وَبَيْتُكِ بَيْتي . . أَضَعْتُ ٱلطَّريقَ

فَلَمْ أَدْرِ أَيَّهُما أَقْصُدُ

أَأَهْرُبُ مِنْكِ ؟ وَأَيْنَ ٱلْمَفَرُّ

وَزُرْقَةُ عَيْنَيْكِ لي مَوْعِدُ !

١٩٥٥

كنّا غرباء

لَمْ تَكُنْ قَبْلَكِ ٱلذِّكَرْ
فَٱعْذُري ٱلْقَلْبَ إِنْ عَثَرْ

لِيَ عَيْنَاكِ وَٱلْهَوىٰ وَٱلْخَريفُ ٱلَّذي بَكَرْ
بِدَمي أَنْتِ ! لا أَرىٰ لَكِ في ٱلْأَرْضِ مِنْ مَفَرّْ
إِنْ يَبُحْ قَبْلَنا فَمٌ فَبِنا تَبْدَأُ ٱلسِّيَرْ !
إِنْظُري إِنَّها يَدٌ تَغْزِلُ ٱلضَّوْءَ وَٱلشَّرَرْ
ٱلْمَصابيحُ في ٱلطَّريقِ تَنَقَّبْنَ بِٱلشَّجَرْ
وَٱلنَّواتِيُّ يَسْأَلو نَ مَتىٰ تَطْلُعُ ٱلدُّرَرْ

وَبقايا مِنَ ٱلسَّنا لَمْ تَزَلْ تَبْغَتُ ٱلْبَصَرْ

يا لَهـا مِنْ مَدينَةٍ سَهِرَتْ تَجْرَعُ ٱلضَّجَرْ !

سَكِرَ ٱللَّيْلُ فَٱنْظُري أَعَلىٰ ٱلْماءِ قَدْ طَفَرْ

فَشِراعٌ مُرَنَّحٌ وَشِراعٌ قَدِ ٱنْحَدَرْ

وَعَجوزٌ عَلىٰ ٱلطَّريـــقِ أَشارَتْ إِلىٰ ٱلنَّهَرْ

زَعَمَتْ أَنَّ مَوْجَةً ذَهَبَتْ تَغْسِلُ ٱلْقَمَرْ..

وَتَقولينَ : مَنْ يَظُنُّ ؟ فَأَغْضي عَلىٰ سَقَرْ

أَوَلَمْ أُعْطِكِ ٱلنُّجو مَ وَأَحْبِكْ لَكِ ٱلْبَكَرْ

أَوَ أَشْكو وَفي يَدي صَفَرَ ٱلْأَيْكُ ما صَفَرْ !

قُلْتِ : طِرْ بي عَنِ ٱلْوُجو دِ وَقُدْني إِذا ٱعْتَكَرْ

أَنا لَوْلاكَ مَنْ أَكو نُ .. فَدَعْني مِنَ ٱلْحَذَرْ

وَٱجْرَحِ ٱلصَّخْرَ بِٱلْعُهو دِ وَسِرْ بي عَلَى ٱلزَّهَرْ

يالَقَلْبَيْنِ عاشِقَيْـــــنِ أَفاقا عَلىٰ حَجَرْ ..

أَقْبِلي تَشْهَدِ ٱلضِّفـا فُ صِبايَ ٱلَّذي غَبَرْ

وَٱتَّكي فَوْقَ ساعِدَ يَّ .. وَخَلّي لِيَ ٱلْفِكَرْ

ٱلْمُغَنُّونَ يَهْتِفو نَ .. فَنُصْغي لِمَنْ جَأَرْ

قِصَّةٌ عَنْ مُغامِرٍ زَحَمَتْ فُلْكَهُ ٱلْعُصُرْ

كانَ في ٱلْحانِ لَيْلَةً يَنْهَبُ الدَّيْرَ ماعَصَرْ

كُلَّما عَبَّ جَرْعَةً ذَكَرَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَجَرْ

أَبْصَرَتْهُ أَمِيرَةٌ سَئِمَتْ وَحْشَةَ ٱلْحَجَرْ

فَخَلَتْ في دُروبِهِ وَدَعَتْهُ إِلىٰ ٱلسَّمَرْ

وَأَضاءَتْ لَهُ ٱلطَّرِيـــقَ إِلىٰ خِدْرِها ٱلْعَطِرْ

وَٱرْتَمَتْ في ذِراعِهِ تَتَعايا مِنَ ٱلسُّكَرْ ..

قالَ : مِنْ أَيْنَ ؟ فَٱنْثَنَتْ وَأَشارَتْ إِلىٰ ٱلسَّحَرْ

ثُمَّ قالَتْ : جَزيرَةٌ لَمْ يَطَأْ أَرْضَها بَشَرْ !
هَمَّ يَطْوي ذِراعَها فَٱنْبَرَتْ تُسْدِلُ ٱلسُّتُرْ
ثُمَّ غابَتْ وَراءَها وَتَوارَتْ عَنِ ٱلْبَصَرْ ..
قُلْتُ وَٱللَّيْلُ ساكِنٌ أَيُّ حُلْمٍ بِنا عَبَرْ
خافَ جَفْناكِ ما أَسَرَّ وَضاقا بِما جَهَرْ
وَخَبَتْ وَمْضَةُ ٱلنُّجو مِ عَلى خَدِّكِ ٱلنَّضِرْ
أَتَخافينَ ؟ إِنَّها قِصَّةٌ عَنْ فَتًى عَثَرْ
سَلِمَتْ هٰذِهِ ٱلْعُيو نُ ! فَنامي عَنِ ٱلْكَدَرْ
لَيْلُنا فاضَ بِٱلْهَوىٰ فَلِمَنْ نَتْرُكُ ٱلْبَكَرْ ..
أَنا لَنْ أَذْكُرَ ٱلنَّوىٰ قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ ٱلْقَدَرْ !
فَمُكِ ٱلْحُلْوُ ضارِعٌ أَهُوَ ٱلْقَلْبُ قَدْ كَفَرْ
أَتَقولينَ في غَدٍ .. قُتِلَ ٱلْبَيْنُ مِنْ خَبَرْ

أَوَداعٌ وَلَمْ يَكَدْ يُدْرِكُ ٱلْقَلْبُ مَنْ هَجَرْ!

أَيُّ حُلْمٍ رَأَيْتُهُ فَوْقَ عَيْنَيْكِ يُحْتَضَرْ..

أَنا في زَحْمَةِ ٱلرَّصيـ ـفِ أَرىٰ زَحْمَةَ ٱلذِّكَرْ

ٱلْجُنودُ ٱلْمُعَرْبِدو نَ يَهُمُّونَ بِٱلسَّفَرْ

وَٱلْقِطارُ ٱلَّذي يُلِـ ـحُّ فَيَجْري عَلىٰ شَرَرْ

تَنْشَقُ ٱلروحُ ما يَمُـ ـجُّ وَتَبْكي إِذا زَفَرْ..

وَٱلْمُنادونَ جَهْرَةً وَٱلْعُبابُ ٱلَّذي نَفَرْ

وَنَشيجُ ٱلْمُوَدِّعا تِ يُكَفْكِفْنَ ما ٱنْحَدَرْ

وَهُنا في دَمي يَدٌ تَنْسُلُ ٱلْحُلْمَ وَٱلْفِكَرْ

وَسِراجانِ شاحِبا نِ أَضاءا لِيَ ٱلْعُمُرْ..

أَنا في ٱلدَّرْبِ مُطْرِقٌ أَسْأَلُ ٱلنَّهْرَ هَلْ شَعَرْ

شَجَرُ ٱلدُّلْبِ.. وَٱلنَّدىٰ وَٱلْأَريجُ ٱلَّذي ٱنْتَشَرْ

وَٱلْمَصابيحُ في ٱلدُّرو ... بِ يُراقِبْنَ مَنْ عَبَرْ

وَعَجوزٌ عَلىٰ ٱلطَّريـ ... ـقِ أَفاءَتْ إِلىٰ ٱلنَّهَرْ

يا لَها مِنْ شَقِيَّةٍ ... أَلِفَتْ عَيْنُها ٱلسَّهَرْ

وَقَفَتْ ثُمَّ أَطْرَقَتْ ... تَحْدِجُ ٱلْأَرْضَ في حَذَرْ

وَٱنْحَنَتْ تَمْسَحُ ٱلتُّرا ... بَ .. وَتَرْنو إِلىٰ ٱلْقَمَرْ

وَأَشارَتْ .. فَلَمْ أَجِدْ ... غَيْرَ قَلْبي عَلىٰ ٱلْحَجَرْ!

١٩٥٦

نهاية درب

غُمَّ لَيْلي فَمَنْ يُعانِقُ حُلْمي
في دُروبِ الصِّبا وَيَحْضُنُ نَجْمي
اَلْوَداعَ اَلْوَداعَ !فَالْأُفْقُ قَدْ ضا
قَ.. وَهٰذا الدُّجىٰ يُراوِدُ عَزْمي
لَمْ يَعُدْ في طَريقِنا غَيْرُ أَشْلا
ءِ أَمانٍ .. حَمَلْتُهُنَّ بِرَغْمي
يُوشِكُ اَللَّيْلُ أَنْ يُمَزِّقَ ذِكْرا
كِ.. فَرَسْمٌ يَنْهارُ في إِثْرِ رَسْمِ

وَأَنـا واقِفٌ أَضُمُّ ذِراعَيَّ

وَأَحْنو عَلىٰ بَقِيَّـةِ وَهْمِ . .

غُمَّ لَيْلي ! فَمَنْ يُضيءُ لَكِ الدَّرْ

بَ . . وَيَدْعو لَكِ الْغَمامَ فَيَهْمي

قُلْتُ : هَيّا ! وَخِفْتِ أَنْ تَقْحَمَ النَّوْءَ

وَنُلْقي شِراعَنـا في خِضَمِّ

أَنا قاسٍ وَأَنْتِ واهِنَـةُ الرُّو

حِ . . فَخَلّي الرِّياحَ تُزْهِقُ حُلْمي

ضاقَ عُمْرٌ تَرَكْتِهِ يَشْرَبُ الْوَهْمَ

وَجُرْحٌ نَكَأْتِهِ دونَ عِلْمِ

وَاتْرُكي عالَمي ! فَلَيْسَ لِعَيْنَيْكِ

مَكانٌ في أُفْقِيَ الْمُدْلَهِمِّ . .

أَوْقِدي ٱلنّارَ يا غِناءُ لَيالِيَّ

فَلَيْلي مُرَوَّعُ ٱلنَّجْمِ قاتِمْ

وٱلْمَواعِيدُ تَشْرَئِبُّ مِنَ ٱلْأَمْسِ

وَتَطْوي لَكِ ٱلدُّنىٰ وَٱلْمَعالِمْ

أَتَخافينَ ؟ وَٱلْمُنىٰ مُلْكُ كَفَّيْكِ

وَقَلْبي سَحائِبٌ . . وَمَواسِمْ

عَبَثاً تَكْتُمينَني ! فَأَنا مِثْلُكِ

أَحْيا عَلَى ٱلظُّنونِ ٱلْبَواسِمْ . .

لَيْتَني لَمْ أُرِقْ لِمَقْدَمِكِ الطّيبَ

وَأَفْرِشْ لَكِ الطَّريقَ غَمائِمْ

شَهَقَ اللَّيْلُ في مَحاجِرِكِ الزُّرْقِ

وَعاثَتْ بِالذِّكْرَياتِ أَراقِمْ

وَتَعَثَّرْتِ . . فَالطَّريقُ خَريفٌ

هَجَرَتْهُ طُيوبُهُ . . وَالْحَمائِمْ

لا تَلومي إِذا كَفَرْتُ بِدُنْياكِ . .

فَماذا تَرَكْتِ لي لِأُقاوِمْ ؟

لَمْ نَكُنْ نَلْتَقي . . فَلَمّا تَلاقَيْنا

وَأَدْرَكْتُ أَنَّني كُنْتُ واهِمْ

خِلْتُ دُنْيايَ هُوَّةً تَتَداعى

وَأَمانِيَّ . . كُلُّهُنَّ مَآتِمْ . .

لِمَ آثَرْتِ أَنْ نَعيشَ غَريبَيْنِ

وَأَنْكَرْتِ كُلَّ ما كانَ مِنْكِ

ضاقَ صَدْري بِما يُلَفِّقُ جَفْنا

كِ .. وَأَشْفَقْتُ أَنْ أُصيخَ لِشَكّي

أَنْتِ لَوْلايَ مَنْ تَكونينَ في ٱلْأَرْضِ

وَلَوْلايَ مَنْ يَقُصُّ وَيَحْكي . ؟

مُلْكُ عَيْني هٰذا ٱلْبَريقُ بِعَيْنَيْكِ

وَمُلْكي ما كُنْتُ أَسْرُدُ عَنْكِ

مُلْكُ كِبْري هٰذا ٱلْجَبينُ .. وَمُلْكي

كُلُّ هُدْبٍ .. وَلَوْنُ عَيْنَيْكِ مُلْكي!

أَنا طَوَّقْتُ ساعِدَيْكِ بِنَوّاري

فَلَمْ أُبْقِ زَهْرَةً في أَيْكي

وَسَأَلْتُ ٱلنَّدىٰ فدَغْدَغَ خَدَّيْكِ

وَضَمَّخْتُ راحَتَيْكِ بِمِسْكِ ..

إِنْ تَكوني سَلَوْتِني .. فَلِمَنْ يَشْهَقُ

حُلْمٌ تَرَكْتِهِ عِنْدَ تَرْكي ..؟

أَنا ما زِلْتُ أَدَّعيكِ .. فَلا يَغْرُرْكِ

بَطْشي بِٱلذِّكْرَياتِ وَفَتْكي

كَمْ سَفينٍ تَرَكْتُها تَقْحَمُ ٱلْيَمَّ ..

فَعادَتْ قُلوعُها .. وَهْيَ تَبْكي!

أُلْوَداعَ أُلْوَداعَ يا حُلْمَ دُنْيا

يَ . . فَقُدّامَنا طَريقٌ طَويلَهْ

لِنَسِرْها كَما أَرَدْتِ . . غَريبَيْنِ

وَنَقْنَعْ بِذِكْرَياتٍ . . قَليلَهْ

آنَ أَنْ نَسْتَريحَ مِنْ قَلَقِ أُلْحُبِّ

وَأَوْهامِهِ أُلْعِجافِ أُلْهَزيلَهْ . .

لا تَقولي :جَبُنْتَ ! قَدْ بَحَّ صَوْتي

وَأَنا أَرْقُبُ أُلسَّماءَ أُلْبَخيلَهْ

لَمْ تَكوني كما أُحِبُّ .. ففي

عَيْنَيْكِ .. روحٌ غَريبَةٌ .. مَغْلولَهْ

مَزَّقَ الْقُلْبُ حُلْمَهُ وَهْيَ تَنْهارُ .. وَرَوَّى مِنَ السَّرابِ غَليلَهْ

أَنْتِ شَيْءٌ أُحِبُّهُ وَأُجافيهِ

وَأَخْشى بَقاءَهُ .. وَرَحيلَهْ

أَتَوَقَّاكِ في الطَّريقِ .. وَعَيْني

نَظَراتٌ طَويلَةٌ مَوْصولَهْ ..

فَاذْهَبي إِنْ أَرَدْتِ ! فَالرَّكْبُ قَدْ

سارَ .. وَأَرْضي بَعيدَةٌ مَجْهولَهْ

وَاتْرُكي عالَمي .. فَقَدْ أَفَلَ النَّجْمُ

وَضاقَتْ بِنا الطَّريقُ الطَّويلَهْ ..

١٩٥٤

الطريق إلى الله

عَبَثاً أَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ ! فَإِنَّ ٱللَّيْلَ حائِلْ
إِنَّ هٰذا ٱلْأُفْقَ يَدْعوني فَماذا أَنا فاعِلْ
الرُّؤىٰ تَجْأَرُ في ٱلرُّوحِ وَتَبْكي في ٱلْمَجاهِلْ
وَأَنا في عَشْوَةِ ٱللَّيْلِ خَيالٌ مِنْهُ ماثِلْ
وَخُطىً تَضْرِبُ في ٱلْأَرْضِ وَتَعْنو في ٱلسَّلاسِلْ !
قُلْتُ : هٰذا ٱلدَّرْبُ قَدْ سُدَّ ! فَلوبي يا قَوافِلْ
أَيُّ عَيْنٍ مَلَّتِ ٱلْقَفْرَ وَضاقَتْ بِٱلْحَمائِلْ
أَيْقَظَتْها دَفْقَةُ ٱلنّورِ فَنادَتْ كُلَّ غافِلْ
وَرَنَتْ فَٱزْدَهَتِ ٱلْبيدُ وَماجَتْ بِٱلسَّنابِلْ
وَتوارىٰ ٱللَّيْلُ ! فَٱنْهالَتْ عَلىٰ ٱلصَّخْرِ ٱلْمَعاوِلْ !

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَفي ٱلْأَرْضِ عَرَفْتُ ٱلْكِبْرِياءا
وَرَأَيْتُ ٱلْأُفْقَ ـدْ غُمَّ .. فَنادَيْتُ ٱلسَّماءا
يا لَها مِنْ رِحْلَةٍ تَفْتَحُ لِلرُّوحِ فَضاءا
كُلَّما حَدَّقَ في ٱللَّيْلِ رَأَىٰ دَرْباً مُضاءا
أَيُّ داعٍ صاحَ بِٱلْكَوْنِ .. فَسالَ ٱلْقَفْرُ ماءا
ٱلْقُلوعُ ٱلْبيضُ في ٱلْيَمِّ ! وَأَرْضٌ تَتَراءىٰ
وَأَكُفٌّ تَحْمِلُ ٱلنّارَ .. وَتَهْدي ٱلْغُرَباءا
قِمَّةٌ تَرْنو إِلىٰ ٱلشَّمْسِ ! فَما أَحْلىٰ ٱللِّقاءا
وَقَفَتْ في بُهْرَةِ ٱلتّاريخِ تُرْويهِ عَطاءا
وَأَشارَتْ .. فَأَطَلَّ ٱلنَّجْمُ مِنْهُ .. فَأَضاءا

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! ففي الدَّأْماءِ رُبّانٌ مُغامِرْ
سَرَحَتْ يُمْناهُ فانْهَلَّتْ عَلىٰ الْماءِ الأَزاهِرْ
قالَ : ماذا يَخْبِئُ الْأُفْقُ ؟ فإنَّ النَّجْمَ غائِرْ
أَتُرىٰ لِيَ في الْغَدِ الْمَجْهولِ أَيّامٌ زَواهِرْ
أَنا ماضٍ أَقْهَرُ الْبَحْرَ .. وَأَلْهو بِالْأَعاصِرْ
في يَدي مِفْتاحُ أَبْهاءٍ مِنَ الدُّرِّ بَواهِرْ ..
وَرَنا يَسْتَطْلِعُ الْأُفْقَ .. فَعادَتْهُ الْخَواطِرْ
وَانْجَلىٰ الْحُلْمُ لِعَيْنَيْهِ وَهَزَّ الْقِلْعَ طائِرْ
وَتَراءىٰ النَّجْمُ . وَاخْضَلَّتْ عَلىٰ الْيَمِّ الْبَشائِرْ
فَإِذا الْبَحْرُ أَهازيجٌ .. وَنَخْلٌ .. وَمَنائِرْ !

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَفي ٱلْبَيْداءِ أَرْواحٌ غَريبَهْ
أَيْقَظَتْها دَفْقَةُ ٱلنّورِ عَلىٰ ٱلْأَرْضِ ٱلْكَئيبَهْ
أَيُّ ناياٍ في ٱلسُّهوبِ ٱلسُّمْرِ قَدْ مَدَّ نَحيبَهْ
ٱلْفَضاءُ ٱلْمُتْعَبُ ٱلْمَوْهونُ لَمْ يُخْفِ شُحوبَهْ
وَٱلْمَصابيحُ عَلَى ٱلدَّرْبِ أَساطيرٌ رَهيبَهْ . .
أَيُّها ٱلتّائِهُ في ٱللَّيْلِ ! أَلَمْ تُدْرِكْ غُيوبَهْ
في دَمي شَوْقٌ إِلى ٱلْمَجْهولِ لَمْ أَسْلُ دَيبَهْ
فَرَغَ ٱلْكَأْسُ وَهٰذا ٱلْقَلْبُ لَمْ يُطْفِئْ لَهيبَهْ
صاحَ : رَبّاهُ ! فَخِلْتُ ٱللَّيْلَ يَأْبىٰ أَنْ يُجيبَهْ
وَتَراءَتْ مِنْ وَراءِ ٱلْأُفْقِ أَشْباحٌ غَريبَهْ . .

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَهٰذا ٱلْحُلْمُ قَدْ قَبَّلَ هُدْبي
أَنا في ٱلْمَوْجِ وَراءَ ٱلْمَوْجِ ! في ٱلنَّجْمِ ٱلْمُحِبِّ
أَنا في قافِلَةٍ تَهْفو إِلىٰ رَشَّةِ سُحْبِ
في ٱلصَّدىٰ يَشْهَقُ في ٱللَّيْلِ وَيَطْوي أَلْفَ سَهْبِ
في نَدىٰ زَنْبَقَةٍ بَيْضاءَ . . في رِعْشَةِ عُشْبِ
في ٱنْتِظارِ ٱللَّمْحَةِ ٱلْبِكْرِ ٱلَّتي تَهْتِكُ حُجْبي
في ٱلْهَوىٰ يَجْرَحُ عَيْنَيَّ . . وَيَنْدىٰ مِنْهُ تُرْبي !
أَيُّها ٱللَّيْلُ عَلَى ٱلدَّرْبِ ! هُنا يَبْدَأُ دَرْبي
أَنا ماضٍ أَفْتَحُ ٱلْكَوْنَ فَمَنْ أَلْمَحُ قُرْبي
أَأَنا وَحْدي ؟ وَعَيْنُ ٱللهِ لا تَبْرَحُ قَلْبي

١٩٥٦

الماء

ما الذي طَرَقْ ما الذي خَفَقْ
أيُّ مَغْرِبٍ في دَمي شَهَقْ
غامَ ناظِري عِنْدَ ما زَهَقْ
هَلْ رَأَيْتِهِ يَرْقُبُ الشَّفَقْ
أَلْفُ قَزْعَةٍ تَرْقُشُ الْأُفُقْ
أَدْرَكَ الدُّجى وَشْيَها الْخَلَقْ
كُلَّما الْتَوى هُدْبُها الْغَدَقْ
خِلْتُ قَلْبَها يَقْطُرُ الْحَرَقْ

ما الَّذي دَعا ... ما الذي طَرَقْ

أيُّ طائِرٍ ... دَفَّ وَانْطَلَقْ

كادَ جِنْحُهُ ... يَجْرَحُ الْغَسَقْ

هَلْ رَأَيْتِهُ ... عِنْدَما مَرَقْ..

كانَ في يَدي ... شالُكِ الْعَبِقْ

يَنْثُرُ الشَّذى ... كُلَّما خَفَقْ

قُلْتُ أَقْبِلي ... نَذْرَعُ الطُّرُقْ

ما بَقاؤنا ... نَحْدِجُ الْأُفُقْ!

يا لَصُورَةٍ ... تُوقِرُ الْحَدَقْ

لَمْ أَزَلْ أَرى ... طَرْفَكِ الْقَلِقْ

هامَ بُرْهَةً ... ثُمَّ لَمْ يُطِقْ

قُلْتِ وَالْهَوى ... ثائِرٌ نَزِقْ

أَيْنَ نَغْتَدي حينَ نَفْتَرِقْ
غَصَّ فَجْرُنا وَٱلدُّجى شَرِقْ ..
لَيْتَ ساعِدي يُمْسِكُ ٱلشَّفَقْ
عَلَّ يَوْمَنا يَقْهَرُ ٱلْقَلَقْ
أَنْتَ إِنْ تَرُحْ يَطْبِقِ ٱلْغَسَقْ!
قُلْتُ ما ٱلَّذي يُوغِرُ ٱلْفَرَقْ
أَيُّ عالَمٍ خِلْتِهِ ٱنْغَلَقْ
إِن نَضِقْ بِهِ فَهْوَ لَمْ يَضِقْ
سَوْفَ نَلْتَقي جارَ أَمْ رَفَقْ ..
بَيْتُنا ٱلَّذي يَخْبِئُ ٱلْفَلَقْ
نَمَّ عُشْبُهُ عَنْ نَدىً عَبِقْ
في ظِلالِهِ تَحْلُمُ ٱلطُّرُقْ

أَقْبِلي نَخُضْ دَرْبَهُ ٱلْوَرِقْ

وَٱذْهَبي مَعي نَدْفِنُ ٱلْقَلَقْ

نَنْقُلُ ٱلْخُطى نَنْسُلُ ٱلْأَلَقْ

نَتْبَعُ ٱلرُّؤى كَيْفَما ٱتَّفَقْ

وَٱتْرُكي يَدي تَضْفِرُ ٱلْوَرَقْ

في خَمائِلٍ تُمْطِرُ ٱلْعَبَقْ..

وَيْكِ ! ماٱلَّذي يُقْلِقُ ٱلْحَدَقْ

تَسْأَلينَني كَيْفَ لَمْ أَضِقْ

هَلْ عَهِدْتِني أَنْهَرُ ٱلْأَرَقْ !

يا لَتائِهٍ مُتْعَبٍ.. قَلِقْ

طالَ دَرْبُهُ وَهْوَ لَمْ يُفِقْ..

حَدِّقي تَرَيْ سِرِّيَ ٱلْغَلِقْ

أَنْتِ في دَمي عِنْدَما خُلِقْ..
في عُيونِنا مَوْعِدٌ أَرِقْ
أَجْتَلي بِهِ زُرْقَةَ الْأُفُقْ
هَلْ رَأَيْتِهِ عِنْدَما شَهَقْ
وَدَّ لَوْ رَأَىٰ وَدَّ لَوْ نَطَقْ
مِنْ لُهاثِهِ نَغْزِلُ الشَّفَقْ!

١٩٥٥

الليل في الدروب

١

أَمامَكَ ٱللَّيْلُ ! فَماذا تَرىٰ
أَتَلْمَحُ ٱلنَّجْمَ إِذا أَسْفَرا
أَيُّ ٱلْأَساطيرِ هُنا تَلْتَقي
فَتَجْعَلُ ٱللَّيْلَ لَها مَحْشَرا

ٱلدَّرْبُ قَدْ غُمَّ ! وَهٰذي يَدٌ

تُومي إِلىٰ ٱلْبابِ ٱلَّذي سُمِّرا

يَدٌ مِنَ ٱلْغَيْبِ تَراءَيْتُها

فَخِلْتُ فيها قَدَراً مُنْذِرا !

يا سادِنَ ٱللَّيْلِ ! هُنا ثائِرٌ

لَمْ يَرْحَمِ ٱلشَّكُّ لَهُ مَحْجِرا

يَقْتاتُ بِٱلظَّنِّ وَحُلْمُ ٱلصِّبا

يُعَفِّرُ الجَّفْنَ ٱلَّذي ٱسْتَكْبَرا

أَتْعَبَهُ ٱللَّيْلُ وَلَمّا يَزَلْ

يَرْقُبُ مِنْهُ ٱلْقَمَرَ ٱلنَّيِّرا . .

أَيُّ دُجيً تَشْهَقُ أَنْفاسُهُ

فَتَعْبُرُ ٱلْبيدَ صَدىً مُخْبِرا

ٱلْأَزَلُ ٱلْبِكْرُ غَفا في دَمي

فَأَنْكَرَتْ عَيْناياَ ما أَنْكَرا

لا بَدْءَ يَنْجابُ بِهِ حاضِري

وَلا غَدٌ أُشْفِقُ أَنْ يَعْثُرا

مِنْ كُوَّةِ ٱلْغَيْبِ ٱنْبَرَتْ راحَةٌ

تَرْسُمُ لي ٱلدَّرْبَ ٱلَّذي قُدِّرا

وَقيلَ : هَيْهاتَ ! فَأَلْفَيْتُني

أَشْهَدُ حَوْلي أَبَداً مُقْفِرا

وَٱلنَّجْمُ في ٱلنَّوْءِ فَمٌ مُتْعَبٌ

تَنْهَرُهُ ٱلرّيحُ إِذا أَنْذَرا . .

نادَيْتُ : يا لَيْلُ ! فَنَدَّ ٱلصَّدى

وَٱنْتَفَضَ ٱلصَّمْتُ وَناحَ ٱلثَّرى

وَٱزْدَحَمَ ٱلْأُفْقُ بِأَشْباحِهِ
فَرُحْتُ في ٱلْقَفْرِ أُطيلُ ٱلسُّرىٰ
أَحْمِلُ أَشْواقَ فَمٍ مُطْبَقٍ
وَأَحْدِجُ ٱلْأَسْوارَ مُسْتَخْبِرا
أَكادُ أَسْتَلُّ أَباطيلَها
وَأَرْجُمُ ٱلْوَهْمَ إِذا قَصَّرا
وَٱنْغَلَقَ الْجَفْنُ عَلىٰ ريبَةٍ
فَٱغْرَوْرَقَتْ عَيْنايَ مِمّا أَرىٰ
وَقُلتُ لِلْغَيْمِ : هُنا مَوْقِفي
فَلَمْ أَكَدْ أُومِئُ حَتّىٰ سَرىٰ
وَٱنْكَشَفَ ٱلسِّتْرُ وَقيلَ ٱقْتَرِبْ
فَخِلْتُني أَنْظُرُ مُسْتَغْفِرا . .

٢

أَسْرَفْتَ يا لَيْلُ ! فَقُلْ أَيّ بابْ

تَقْرَعُهُ الرُّوحُ وَراءَ الْيَبابْ

الدَّرْبُ قَدْ طالَ وَلَمّا أَزَلْ

أَسْأَلُ أَيّانَ يَكونُ الإِيابْ

أَصْرُخُ : يالَيْلُ ! فَيَصْدىٰ فَمي

وَيَصْفِقُ ٱلْأَرْضَ جَناحا غُرابْ

الأُفْقُ مَغْلولُ ٱلرُّؤىٰ موحِشٌ

يَنْسُلُ في ٱللَّيْلِ ذُيولَ ٱلسَّحابْ

وَٱلنَّجْمُ في غُرْبَتِهِ غافِلٌ

يُعَلِّلُ ٱلْبيدَ بِحُلْمٍ عُجابْ ..

أُطْرِقُ وَٱللَّهْفَةُ في ناظِري

فَتَزْحَمُ ٱلْعَيْنَ رُؤايَ ٱلْكِذابْ

أَلْمَحُ في كُلِّ يَدٍ أَيْكَةً

وَأَنْدَهُ ٱلنَّجْمَ إِذا ٱلنَّجْمُ غابْ

لِي في ٱلْمَتاهاتِ فَمٌ يَرْتَوي

وَناظِرٌ يَهْتِكُ سِرَّ ٱلْعَذابْ

وَغَيْمَةٌ يَغْزِلُهـا إِصْبَعٌ

تَرْتَعِدُ ٱلْبيدُ إِذا ما أَهابْ

وَجَبْهَةٌ جُنَّ عَلَيْهـا الصِّبـا

فَأَجْفَلَتْ مِنْها ٱلرِّياحُ ٱلْغِضابْ

وَٱسْتَيْقَظَ ٱلجَفْنُ فَضَجَّتْ رُؤىً

غَصَّ بِها ٱلْقَلْبُ وَضاقَ ٱلْإِهابْ..

هُناكَ في ٱلْغَيْبِ ٱرْتَمىٰ ناظِري

وَحَدَّقَتْ فِيَّ عُيونُ ٱلتُّرابْ

عَثَرْتُ بِٱللَّيْلِ فَخِلْتُ ٱلدُّجىٰ

يَنْبُشُ في ٱلصَّدْرِ بَقايا ٱرْتِيابْ

وَقُلْتُ لِلْقَلْبِ مَتىٰ تَهْتَدي

فَغَشَّتِ ٱلْعَيْنَ ظُنونٌ عِذابْ

أَنـا ٱلَّذي هـامَ وَراءَ الرُّؤىٰ

فَعانَقَ ٱلْوَهْمَ وَطـالَ السَّرابْ

في طَرْفِيَ ٱلْمُتْعَبِ أَسْرىٰ غَدٌ

وَأَحْدَقَتْ شُهْبٌ وَأَغْفىٰ عُبـابْ

أَنْظُرُ حَـوْلي فَأَرىٰ قَبْضَـةً

هَوْجاءَ تَـنْقَضُّ وَراءَ الضَّبـابْ

وَكُـلَّمـا أَوْغَـلَ بي خاطِرٌ

أَلْفَيْتُـني أَقْرُبُ مِمّا أَهـابْ

أَسْـأَلُ : مِنْ أَيْنَ ؟ فَتَثْني يَـدي

وَهْوَهَـةُ ٱلـرّيحِ وَنَـوْحُ ٱلشِّعابْ

وَأُغْمِضُ ٱلطَّـرْفَ لَعَلّي أَرىٰ

فَـأُبْصِرُ ٱللَّيْـلَ عَلىٰ كُـلِّ بابْ ..

٣

هَلْ يَطْلُعُ ٱلْفَجْرُ عَلىٰ ٱلْبَلْقَعِ

فَتَعْلَمُ ٱلرّوحُ مَتىٰ مَرْجِعي

الدَّرْبُ في ٱللَّيْلِ ٱنْتَهَتْ بَغْتَةً

فَلَمْ أَجِدْ حَوْلِيَ مِنْ مَفْزَعِ ..

لا تُغْلِقِ ٱلْبابَ ! فَإِنَّ ٱلَّذي

أَسْرىٰ بِيَ ٱللَّيْلَةَ لَمْ يَقْنَعِ

كَلَّتْ يَدي وَٱلشُّهْبُ مَذْعورَةٌ

يَبْهَتُ في غُبْشَتِهـــا مَوْقِعي

أُقَلِّبُ ٱلطَّرْفَ بِهـــا تارَةً

وَتارَةً أَعْثُرُ بِٱلْأَدْمُعِ ..

أَيُّ فَمٍ يَغْزِلُ أَحْلامَهُ

وَراءَ هٰذا ٱلْعَدَمِ ٱلْمُفْزِعِ

إِنّي أَرىٰ ٱلصَّيْفَ خِلالَ ٱلْحِيا

يَنْسِجُ أَفْوافَ غَدٍ مُمْرِعِ

المَوْقِدُ ٱلْباكي وَنارُ ٱلْقِرىٰ

وَسامِرٌ في ٱللَّيْلِ لَمْ يَهْجَعِ

وَقِصَّةٌ عَنْ شَبَحٍ زائِرٍ
غَصَّ بِهِ الدَّرْبُ فَلَمْ يَرْجِعِ
وَطِفْلَةٌ تَلْغو بِأَوْهامِها
فَتَجْمَعُ الْكَوْنَ عَلىٰ إِصْبَعِ
أُغْمِضُ عَيْنَيَّ إِذا ما بَدَتْ
وَأُسْدِلُ السِّتْرَ عَلىٰ مَطْمَعي
وَأَنْهَرُ الْحُلْمَ وَفي مَحْجِري
شَوْقٌ إِلَى الْغَيْبِ يُنادي مَعي..
أَصْرُخُ : يالَيْلُ ! لَعَلَّ الصَّدىٰ
يَبْلُغُ سَمْعَ الْأَبَدِ الْمُسْرِعِ
أُريدُ أَنْ أَنْهَبَ هٰذا الدُّجىٰ
فَأَحْمِلَ النَّجْمَ إِلىٰ مَضْجَعي

وَأَكْسِرَ ٱلْغُلَّ .. فَيَنْدى ٱلصَّفا

وَيَنْبُتَ ٱلْوَرْدُ عَلى ٱلْأَذْرُعِ

ظَمْآنُ أَشْتاقُ رَفيفَ ٱلنَّدى

وَكَرَّةَ ٱلطَّيْرِ عَلى ٱلْمَشْرَعِ

أَصْرُخُ : يا لَيْلُ ! فَيَدْنو ٱلسُّها

وَيُنْبِئُ ٱلظُّلْمَةَ عَنْ مَوْضِعي

وَيَعْفِرُ ٱلْأَرْضَ بِأَنْفاسِهِ

كَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ مَطْلِعِ ..

وَأَطْرُقُ ٱلْبابَ فَتَهْوي يَدي

عَلى يَدٍ تَعْبَثُ في أَضْلُعي

أُرْهِفُ أُذْني فَتَنوحُ ٱلذُّرى

وَأَسْمَعُ ٱلرّيحَ تَصيحُ : ٱرْجِعِ !

٤

يا حادِيَ ٱلْأَنْجُمِ ! مُلَّ ٱلطَّريقْ
فَرُدَّ لي ٱلْكَأْسَ لَعَلّي أُفيقْ
الحَانَةُ ٱلْكُبْرىٰ تَراءَتْ لَنا
فَأَمَّتِ ٱلدَّرْبَ فُلولُ ٱلرَّقيقْ

تَشْهَقُ في ٱللَّيْلِ قَناديلُها
فَيَبْغَتُ ٱلضَّوْءَ غَمامٌ رَقيقْ

أَدْفَعُ في هُوَّتِها ناظِري
فَأَجْتَلي أَغْوارَ قَبْوٍ عَتيقْ

وَأَطْرُقُ ٱلْبابَ فَيَنْتابُني
خَوْفٌ مِنَ ٱللَّيْلِ عَميقٌ .. عَميقْ !

النّاسُ في ٱلْقَبْوِ وَهٰذي يَدٌ
تَقْرَعُ في ٱلْغَيْبِ سِياطَ ٱلْبُروقْ

أَنْظُرُ في أَعْيُنِهِمْ خِلْسَةً
فَأُبْصِرُ ٱلْقَيْدَ يَعَضُّ ٱلْعُروقْ ..

النّاسِكُ ٱلْمُتْعَبُ مُسْتَغْرِقٌ
يَنْشُدُ في الْحانِ صِباهُ ٱلْوَريقْ

وَفِتْيَةٌ تَغْمِزُ أَقْداحَها

فَوْقَ أَباطيلِ شَبابٍ أَنيقْ

وَامْرَأَةٌ سَكْرىٰ تَبيعُ الْهَوىٰ

وَقَلْبُها يَنْزِفُ مِمّا تُطيقْ

وَعاشِقٌ أَشْفَقَ مِمّا رَأَىٰ

فَعانَقَ الدَّنَّ عِناقَ الرَّفيقْ

تَشْرَقُ عَيْناهُ بِأَوْهامِهِ

فَيَغْمُرُ الْكَأْسَ بِدَمْعٍ دَفيقْ

يَرْنو إِلىٰ شَيْخٍ يَسُدُّ الْكُوىٰ

وَيَحْدِجُ اللَّيْلَ بِطَرْفٍ حَنيقْ

يَسْأَلُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَتَفْري الدُّجىٰ

صَيْحَةُ سِكّيرٍ يَفُضُّ الرَّحيقْ

الظَّمَأُ ٱلْمُحْرِقُ يَكْوي فَمي

فَخَلِّني أَشْرَبُ مِمّا تُريقْ ..

أَوْمَأْتُ لِلْكَأْسِ أَبُلُّ ٱلْحَشا

فَأَجْفَلَ ٱلظِّلُّ وَغاضَ ٱلْبَريقْ

وَصِحْتُ بِٱلشَّيْخِ فَلَمّا دَنا

أَبْصَرْتُ في فيهِ بَقايا حَريقْ

طَأْطَأْتُ رَأْسي وَٱلدُّجىٰ عابِسٌ

وَٱلْقَبْوُ في ٱلصَّمْتِ غَريقٌ .. غَريقْ

وَقُلْتُ ما قُلْتُ ! فَناحَ ٱلصَّدىٰ

وَأَنَّتِ ٱلرّيحُ وَغُمَّ ٱلطَّريقْ

وَٱنْكَفَأَ ٱلْكَأْسُ ! فَشُلَّتْ يَدٌ

وَمَزَّقَ ٱللَّيْلَ نُباحٌ سَحيقْ ..

٥

أَمامَكَ ٱللَّيْلُ ! فَمَنْ تَنْظُرُ

أَتَلْمَحُ ٱلنَّجْمَ ٱلَّذي يَعْثُرُ

الأَوْجُهُ ٱلْخَرْساءُ تَرْتابُ بي

فَتَزْحَمُ ٱلدَّرْبَ ٱلَّذي أَعْبُرُ

تَحْدِجُني كُدْرَةُ أَحْداقِها

وَنِقْمَةٌ في فَمِها تَهْدِرُ

وَنَظْرَةٌ بَكْماءُ .. مَقْهورَةٌ

يَلْهَثُ فيها الْأَبَدُ الْموقَرُ

إِذا دَنَتْ ضِقْتُ بِأَنْفاسِها

كَأَنَّها في كَبِدي تَزْفُرُ ..

أَلْمَحُها حَوْلِيَ مُلْتاثَةً

فَأَتْرُكُ الْجَفْنَ بِها يَكْدُرُ

أَخافُ أَنْ أَلْمُسَ أَغْلالَها

فَأَنْكَأَ الْجُرْحَ الَّذي يَنْغَرُ ..

الدَّرْبُ قُدّامي ! وَلي وِجْهَةٌ

يَحْجُبُها اللَّيْلُ الَّذي يَكْفُرُ

قافِلَةٌ ظَمْأَىٰ تَجوبُ ٱلْفَلا

وَيَرْتَوي مِنْها ٱلْغَدُ ٱلْمُقْفِرُ

أَتْبَعُها وَحْدي ! فَأَعْيا بِها

وَأَسْأَلُ ٱلنَّجْمَ مَتىٰ يَظْهَرُ

أَنَتْرُكُ ٱلرّوحَ تُطيلُ ٱلسُّرىٰ

في غُرْبَةٍ لَيْسَ بِها مَعْبَرُ

سَأَلْتُها تَهْتِكُ أَسْتارَها

فَخِلْتُ فيها هُوَّةً تَفْغَرُ

بَعْثَرْتُ دُنْيايَ عَلىٰ تُرْبِها

وَرُحْتُ في ظُلْمَتِها أُغْبِرُ

وَسِرْتُ وَحْدي .. أَتَقَرّىٰ ٱلدُّجىٰ

وَأَتْبَعُ ٱلْحُلْمَ ٱلَّذي يَنْفُرُ ..

ٱلدَّرْبُ قَدْ طالَ ! فَخَلِّ ٱلرُّؤىٰ

وَقُلْ لِعَيْنَيْكَ : هُنا نُحْشَرُ ..

أَيُّ يَدٍ تَدْمىٰ بِأَطْواقِها

وَأَيّ أَحْلامي تُرىٰ أَذْكُرُ !

تَرَنَّحَ ٱلْكَأْسُ وَطاشَ ٱلْهَوىٰ

وَجَفَّتِ ٱلْخَمْرُ ٱلَّتي تُسْكِرُ

وَٱجْتَرَأَ ٱلدَّهْرُ عَلىٰ مَفْرِقي

وَغالَتِ ٱلنَّجْمَ يَدٌ تَغْدُرُ

وَٱحْتُضِرَ ٱللَّيْلُ سِوىٰ زَفْرَةٍ

أَتْرُكُها فَوْقَ فَمي تَجْأَرُ

وَٱنْكَشَفَ ٱلسِّتْرُ وَقيلَ ٱقْتَرِبْ

وَلَمْ أَزَلْ أُنْكِرُ ما أُنْكِرُ ..

١٩٥٦

إلى الأبد

أَطْلِقي حُلْمَكِ أُخْتاهُ ! فَقَدْ أَوْشَكَ يَزْهَقْ
وَاحْضُني الْأَمْسَ فَلَنْ يَقْهَرَنا الْوَهْمُ الْمُمَزَّقْ
وَاذْرَعي الْكَوْنَ كَما شِئْتِ .. فَقَدْ فاضَ وَأَغْدَقْ
وَاشْرَأَبَّ الصُّبْحُ يَسْتَغْفِرُ عَنْ لَيْلٍ مُطَبَّقْ ..
أَقْبِلي تَزْدَحِمِ الْأَحْراجُ بِالْوَرْدِ وَتَشْرَقْ
وَاخْطُري يَنْهَمِرِ الطِّيبُ عَلَى الدَّرْبِ وَيُهْرَقْ
أَيَّ زَهْوٍ يَهَبُ الْأَرْضَ هَوانا .. أَيَّ رَوْنَقْ
خَطَرَتْ أَقْدامُنا أَمْسِ عَلَى الصَّخْرِ فَأَوْرَقْ
وَارْتَمى الطَّيْرُ عَلَى راحَتِنا الْبيضِ وَصَفَّقْ ..

كَذَبَ ٱلنّاسُ ! فَلَنْ نَعْنُوَ لِلْيَأْسِ وَنَفْرَقْ
نَحْنُ أَقْوىٰ مِنْهُ يا أُخْتُ عَلَى ٱلصَّبْرِ وَأَصْدَقْ
فَلَنا ٱلْغابُ وَما في ٱلْغابِ مِنْ طيبٍ مُعَتَّقْ
وَلَنا ٱلطَّيْرُ إِذا غَرَّدَ في ٱلْأَيْكِ وَزَقْزَقْ
وَلَنا ٱلنَّجْمُ إِذا ضَوَّأَ في ٱللَّيْلِ وَأَشْرَقْ
وَلَنا ٱلْغَيْمُ ٱلذي يَشْرُدُ في ٱلْأُفْقِ وَيَأْبَقْ
وَلَنا ٱلْحُبُّ ٱلَّذي يَهْزَأُ بِالْيَأْسِ الْمُغَلَّقْ
وَلَنا أُقْصوصَةٌ تُسْرَدُ في ٱلْحَقْلِ وَتُطْلَقْ
يُنْصِتُ ٱللَّيْلُ لَها وَٱلْحَرْجُ وَٱلسَّفْحُ ٱلْمُزَوَّقْ..

* * *

عَجَباً تَشْرُدُ عَيْناكِ مَعَ ٱلظَّنِّ الْمُلَفَّقْ
أَتُرىٰ رابَكِ هٰذا ٱلنَّغَمُ ٱلْحُلْوُ ٱلْمُرَوَّقْ..
أَنا لا أُنْكِرُ أُخْتاهُ شَبابي كَيْفَ يُنْفَقْ

أَنا لا أُنْكِرُ ما أَكْتُمُ في الطَّرْفِ الْمُؤَرَّقْ
أَلَمٌ حُمِّلْتُهُ في بُكْرَةِ الْعُمْرِ الْمُنَمَّقْ
لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يَزْفُرُ في الْقَلْبِ وَيَشْهَقْ..
عَفْوَ عَيْنَيْكِ إِذا أَسْرَفَ قَلْبي أَوْ تَحَرَّقْ
لا تَقولي: أَرْهُبُ الدَّهْرَ! فَمَنْ يَرْهَبُ مُصْعَقْ
أَوْقِدي النّارَ فَلَنْ يُطْفِئَها اللَّيْلُ الْمُطَبَّقْ
وَاشْرَحي الشَّوْقَ فَلَنْ يَكْبُتَهُ الْيَأْسُ الْمُغْلَقْ
وَثِقي بي فَأَنا رائِدُكِ الْبَرُّ الْمُصَدَّقْ
أَنْتِ دُنْيايَ! فَهَلْ أَكْفُرُ بِالْأَمْسِ الْمُوَفَّقْ؟
أَنا باقٍ أَزْجُرُ الْقَلْبَ إِذا أَنَّ وَأَطْرَقْ
كُلَّما أَوْشَكَ يَحْكي أَوْ رَأَى الدَّمْعَ تَرَقْرَقْ
قَبَّلَ الْجُرْحَ فَأَلْفى دَمَهُ ما زالَ يَعْبَقْ..!

١٩٥٠

ظلال على الطريق

لِمَنْ شَبَحٌ في ٱلدَّرْبِ بارَكَهُ فَمي
يَروعُ عَلىٰ جَفْنَيَّ حَفْنَةَ أَنْجُمِ
يَخوضُ إِلَيَّ ٱللَّيْلَ وَٱللَّيْلُ موحِشٌ
فَأَصْحو عَلىٰ أَنْفاسِهِ فَوْقَ مِعْصَمي
يَظَلُّ عَلىٰ بابي يُطيلُ دُعاءَهُ
فَأَنْثُرُ أَشْواقي عَلىٰ فَمِهِ ٱلظَّمي
أَشُقُّ لَهُ ٱلْأُفُقَ ٱلْعَريضَ وَفي دَمي
تَلَهُّفُ سارٍ في سَرابٍ مُدَوِّمِ

أَصيحُ بِأَحْلامي وَقَدْ خَفَتَ ٱلصَّدىٰ

فَتَبْغَتُني أَشْبـــــاحُ لَيْلٍ مُخَيِّمِ

حَنَوْتُ عَلَيْها وَٱلرُّؤىٰ تَزْحَمُ ٱلرُّؤىٰ

فَأَلْفَيْتُني أَحْنو عَلىٰ أُفُقٍ عَمي . .

وَضَجَّ فَمي بِٱلذِّكْرَياتِ فَلَمْ أَجِدْ

سِوىٰ حُلُمٍ غـافٍ يُهَدْهِدُهُ دَمي

يَشوقُ ٱلسُّرىٰ طَرْفي فَيَحْلُمُ بِالرُّقىٰ

تَشُقُّ بِهِ أَطْباقَ غَيْبٍ مُكَتَّمِ

وَيَعْلَقُ بِٱلْغَيْمِ ٱلَّذي يَطَأُ ٱلسُّهـا

وَبِٱلْمُزْنَةِ ٱلظَّمْأَىٰ تَلوبُ وَتَرْتَمي

أَكادُ أَرىٰ نَجْمَيْنِ في كُلِّ ذِرْوَةٍ

فَيَشْرَقُ جَفْني بِٱلْبَريقِ ٱلْمُلَمْلَمِ

أَدورُ عَلىٰ وَعْدٍ يُغَيِّبُهُ ٱلدُّجىٰ

وَدُنْيا مِنَ ٱلْأَسْرارِ لَمْ تُتَوَهَّمِ

وَأُغْضي فَيَحْنو ٱللَّيْلُ فَوْقَ تَرَقُّبي

وَتَعْثُرُ أَهْدابي بِحُلْمٍ مُسَلِّمِ

أَلوبُ بِأَحْداقي ٱلْعِطاشِ وَلِلْمُنىٰ

بَقِيَّةُ صَمْتٍ تَشْرَئِبُّ عَلىٰ فَمي

وَأَذْكُرُ أَيّامي فَتَشْمَخُ قِمَّةٌ

تَرَكْتُ عَلىٰ أَعْناقِها الشُّمِّ مِيسَمي

وَأُصْغي لِأَطْيافٍ يَلِجُّ بِها ٱلْهَوىٰ

فَتَخْفِقُ حَوْلي بِٱلْجَناحِ ٱلْمُهَيْنِمِ

أَهُمُّ بِها وَٱلشَّوْقُ يُوقِرُ مَحْجِري

فَيَصْرُخُ صَوْتٌ في ٱلْغُيوبِ : تَقَدَّمِ

أَمُدُّ وَرائي ٱلطَّرْفَ وَٱللَّيْلُ موحِشٌ
فَتُدْرِكُني في ٱلدَّرْبِ أَنَّةُ أَبْكَمِ

بَقِيَّةُ أَيّامٍ تَرَكْتُ رَبيعَها
يَنامُ عَلىٰ زَنْدِ ٱلْخَريفِ ٱلْمُهَوِّمِ

وَصَوْتٌ يُناديني إِذا وَقَبَ ٱلدُّجىٰ
فَأُرْهِفُ أُذْني لِلْحَديثِ ٱلْمُرَجَّمِ

وَشَيْءٌ وَراءَ ٱلْأُفْقِ يَغْمِزُ خاطِري
فَيُشْفِقُ طَرْفي أَنْ يُلِمَّ بِمُعْتِمِ

تُطَوِّفُ عَيْني بُرْهَةً ثُمَّ تَرْتَمي
عَلىٰ أَنْجُمٍ في أُفْقِيَ ٱلْبِكْرِ حُوَّمِ

وَسِفْرٍ مِنَ ٱلذِّكْرىٰ يُوَسْوِسُ في دَمي
فَأُرْسِلُ في أَوْراقِهِ يَدَ مُغْرَمِ

إذا ٱقْتَرَبَتْ عَيْني تَلُمُّ حُروفَهُ

رَأَيْتُ قُطوفَ الْوَرْدِ تَغْمُرُ مِرْقَمي..

ظِلالٌ عَلىٰ دَرْبي يُدَفِّعُها ٱلْهَوىٰ

فَأَيْنَ تُرىٰ أَمْضي إِذا غُمَّ مَعْلَمي ؟

أَأَنْظُرُ خَلْفي ؟ وَالسُّنونُ تَفوتُني

وَتَتْرُكُ في كَأْسي بَقِيَّةَ عَلْقَمِ

وَفي عالَمي حُلْمٌ أَبَلُّ غَليلَهُ

وَنَجْمٌ أُناديهِ إِذا جُنَّ عَيْلَمي

وَظِلٌّ مِنَ ٱلْماضي يُهَدْهِدُهُ الصِّبا

وَيَغْفو وَراءَ الْهُدْبِ غَفْوَةَ مُلْهَمِ

وَدُنْيا مِنَ ٱلْأَشْواقِ نَدَّ عَبيرُها

فَغَرَّقَ أَحْداقي وَأَسْكَرَ أَعْظُمي

أُجيلُ بِها طَرْفي فَتَحْمِلُني ٱلرُّؤىٰ

إِلىٰ قِمَّةٍ بَيْضاءَ تَرْقُبُ مَقْدَمي

تَكادُ ٱلدُّروبُ ٱلْخُضْرُ تَزْحَمُ ناظِري

فَأُغْمِضُ أَجْفاني عَلَى أَلْفِ بُرْعُمِ

وَأَخْلو إِلىٰ كَرْمي أَدُكُّ سِياجَهُ

وَأَفْتَحُ صَدْري لِلصَّباحِ ٱلْمُنَمْنَمِ

أَمُدُّ يَدَيَّ حَتّىٰ أُحِسَّ بِنَشْوَةٍ

مِنَ ٱلْمَلَأِ ٱلْأَعْلىٰ تَمُرُّ بِمَبْسِمي ..

هُنا في زَوايا ٱلدَّرْبِ غَمْغَمَتِ ٱلرُّؤىٰ

فَجُنَّتْ أَمانِيَّ ٱلظِّماءُ عَلىٰ فَمي

هَمَمْتُ أُناديها فَخَفَّ خَيالُها

وَمَرَّتْ يَدُ ٱلْأَوْهامِ تَنْسُلُ أَنْجُمي

أَسيرُ وَقَدْ بَثَّ الظَّلامُ عُيونَهُ

فَيوغِلُ طَرْفي في طَريقٍ مُحَرَّمِ

أَشُقُّ سُدولَ الْغَيْبِ وَالدَّرْبُ مَقْفِرٌ . .

فَأَيُّ فَمٍ في اللَّيْلِ يُنْكِرُ مَزْعَمي ؟

وَقَفْتُ أَذودُ الْعاصِفاتِ فَأَجْفَلَتْ

عَلىٰ جَبْهَةٍ شَمَّاءَ لَمْ تَتَجَهَّمِ

وَأَنْفُضُ شَكّي في الطَّريقِ فَأَجْتَلي

تَقَاوَةَ أَوْزاري وَعِفَّةَ مَأْثَمي

وَدارَيْتُ أَشْواقي فَأَوْمَأَ مَوْعِدٌ

أَضاءَ بِهِ لَيْلي وَأَزْهَرَ مَوْسِمي

وَعُدْتُ إِلىٰ قَلْبي أَهُزُّ سُباتَهُ

فَخِلْتُ الْوُجودَ الرَّحْبَ يَخْفِقُ في دَمي !

١٩٥٥

كان ما كان

كانَ ما كانَ بَيْنَنا
فَلِمَنْ تَهْزَجُ الْمُنى
نَحْنُ إِنْ نَفْتَرِقْ فَمَنْ يُرْضِعُ النَّجْمَ بَعْدَنا !
ما لِعَيْنَيْكِ تَضْرَعا نِ . . أَفي الْأَرْضِ غَيْرُنا
طَرْفُكِ الْأَزْرَقُ الْعَمِيـ ـقُ . . تُرى كَيْفَ لُوِّنا
أَنا في الْبَحْرِ وَالضِّيا ءِ قَدِ اخْتَرْتُ مَسْكَنا
وَيَداكِ الْأَنيقَتا نِ . . أَما كانَتا هُنا
أَلْفُ سِرْبٍ مِنَ النُّجو مِ غَفَتْ أَمْسِ عِنْدَنا . .

نَحْنُ في قُبَّةِ الْوُجو دِ تَخِذْنا مُطَلَّنـا
الرَّبيـعُ الزُّمُرُّدِ يُّ جَعَلْناهُ .. بَيْتَنا
وَالْغُيومُ الْمُوَرَّدا تُ .. تَدافَعْنَ فَوْقَنا
وَالدَّوالي .. أَلَمْ تَكُنْ تَفْرِشُ الظِّلَّ حَوْلَنا
وَالْعَصافيرُ تَشْرَئِـبُّ إِذا رَنَّ صَوْتُنا
وَالشُّجَيْراتُ في الطَّريـقِ يُقَبِّلْنَ ظِلَّنا ..
حُلُمٌ شَقَّ في الْجُفو نِ صَباحاً مُلَوَّنا
أَطْبَقَتْ فَوْقَهُ الْحَيا ةُ فَلَمْ تُبْقِهِ لَنا
وَٱنْتَبَهْنا عَلَى الْفِرا قِ .. فَأَطْرَقْتُ مُذْعِنا
الْغَريبانِ يَبْكِيا نِ ! فَيا قَلْبُ عُدْ بِنا
شَرِقَ الْجَفْنُ بِالدُّمو عِ .. فَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَنا
أَتَمَنَّى لَوَ ٱنَّنـا لَمْ نَجِدْ بَعْدُ مَوْطِنا !

١٩٥٤

أأذهب وحدي

قِفي! لَنْ تَضيقَ بِنا ٱلذِّكْرَياتُ
وَلَنْ نَتْرُكَ ٱلْأَمْسَ حَتّىٰ يُفيقْ
هُوَ ٱلْحُلْمُ جُنَّ عَلىٰ ناظِرَيَّ
فَعُذْتُ بِعَيْنَيْكِ مِمّا يُطيقْ
وَسِرْتُ بِهِ في ٱلدُّروبِ ٱلْعِطاشِ
فُغُمَّ ٱلْفَضاءُ وَجَفَّ ٱلرَّحيقْ
وَأَوْشَكْتُ أَلْمُسُ فَوْقَ ٱلتُّرابِ
بَقِيَّةَ ماضٍ جَريحٍ رَقيقْ ..

تَلَفَّتُّ أَسْأَلُ عَنْكِ ٱلْوُعودَ

فَعَزَّ ٱللِّقاءُ وَطالَ ٱلطُّروقْ

وَعُدْنا غَريبَيْنِ نَطْوي ٱلدُّروبَ

وَراءَ خَيالٍ سَحيقٍ . . سَحيقْ

تَمُرِّينَ عابِرَةً في ٱلطَّريقِ

فَأُشْفِقُ أَنْ نَلْتَقي في ٱلطَّريقْ

وَأَسْأَلُ عَنْكِ كَما تَسْأَلينَ

وَأُطْرِقُ في غَفْلَةٍ لا أُفيقْ

كَأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفي ساعِدَيَّ

وَلَمْ أَحْبُ عَيْنَيْكِ هٰذا ٱلْبَريقْ

وَأَمْسَحْ جَدائِلَكِ ٱلْمُذْهَباتِ

بِأَلْفِ أَريجٍ زَكِيٍّ عَبيقْ

وَلَمْ تَلْثُمي ناظِري مَرَّتَيْنِ
مَخافَةَ بَيْنٍ وَشيكٍ مُحيقْ
وَلَمْ نَمْشِ في ٱللَّيْلِ مُسْتَغْرِقَيْنِ
نَخوضُ ٱلدُّجىٰ وَنَعُدُّ ٱلْبُروقْ
وَأَبْصارُنا تَسْتَشِفُّ ٱلْغُيوبَ
وَتُوغِلُ خَلْفَ ٱلْغَمامِ ٱلصَّفيقْ ..

* * *

قِفي! لَنْ تَطولَ بِنا ٱلذِّكْرَياتُ
وَلَنْ نَحْبِسَ ٱلْحُلْمَ حَتّىٰ يَضيقْ
هُوَ ٱللَّيْلُ يَحْجُبُ عَنّا ٱلسَّماءَ
فَماذا وَراءَ ٱلْقَتامِ ٱلسَّحيقْ

أَأَرْجِعُ ؟ عَفْوَكِ لَنْ أَسْتَطِيعَ

فَقَدْ نَالَ مِنّي عَناءُ الطَّرِيقْ

لَقَدْ وَهَنَ الْحُبُّ في ناظِرَيَّ

فَلَنْ يَسْكَرَ الْكَرْمُ مِمّا أُرِيقْ

وَلَنْ يَنْقُرَ الطَّيْرُ هٰذا الْفُتاتَ

تَذُرِّينَهُ في الْفِنـاءِ الْوَرِيقْ

وَلَنْ نَفْجَأَ الرَّوْضَ عِنْدَ الْبُكورِ

وَزَنْبَقُهُ لَمْ يَكَدْ يَسْتَفِيقْ

وَلَنْ أَنْثُرَ الْوَرْدَ وَالْياسَمِينَ

عَلَى ثَوْبِكِ اللَّيْلَكِيِّ الْأَنِيقْ

وَلَنْ نَرْقُبَ الشَّمْسَ عِنْدَ الْغُروبِ

تَجُرُّ الدُّجى .. وَتَلُمُّ الْعَقِيقْ

وَلَنْ نَقْطَعَ ٱللَّيْلَ في زَوْرَقٍ

يُحاذِرُ نُوتِيُّهُ أَنْ نُفيقْ

وَلَنْ نَرْقُبَ ٱلنَّجْمَ مُسْتَلْقِيَيْنِ

وَراءَ جِدارٍ عَتيقٍ .. عَتيقْ

نَبوحُ فَتَهْزَجُ عُصْفورَتانِ

وَيَرْوِىٰ ٱلنَّدىٰ في عُيونِ ٱلشَّقيقْ..

وَلَنْ نَعْبُرَ ٱلدَّرْبَ مُسْتَسْلِمَيْنِ

لِهٰذا ٱلسُّكونِ ٱلْعَميقِ .. ٱلْعَميقْ

يَدانا تَشابَكَتا .. وَٱلنُّجومُ

تُواكِبُنا في ٱلْفَضاءِ ٱلطَّليقْ

كَأَنَّ ٱلْوُجودَ أُمَّحىٰ في ٱلظَّلامِ

وَغابَ ٱلطَّريقُ وَغَصَّ ٱلْبَريقْ

وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ بِلاطِ ٱلدُّروبِ

سِوىٰ ظِلِّنا ٱلْمُطْمَئِنِّ ٱلرَّفيقْ..

فَدَيْتُكِ! ماذا عَرا ناظِرَيْكِ

وَأَيُّ غَدٍ جُنَّ مِمّا نُطيقْ

تَخافينَ ؟! أُخْتاهُ ماذا نَخافُ

وَلَمْ نَجْنِ غَيْرَ ٱلْأَسىٰ وَٱلْحَريقْ

كَما شِئْتِ! فَلْنَئِدِ ٱلذِّكْرَياتِ

وَنَطْوِ ٱلْمُنىٰ. وَنُتِمَّ ٱلطَّريقْ..

١٩٠٤

أنتِ لي

وَدَّعْتِني ! وَتَرَكْتِني وَحْدي
أَطْوي الطَّريقَ .. فَمَنْ أَتى بَعْدي

أَنا لِلنُّجومِ أَضُمُّ زُرْقَتَها
وَأَجُرُّ فَوْقَ بَريقِها خَدِّي

إِنْ تُنْكِري أَيّامَنا .. فَلَنا
عَبَقُ الْوُعودِ وَشَهْقَةُ الْوَجْدِ

أَو كُنْتِ ناسِيَةً فَقَدْ سَكِرَتْ
عَيْناكِ مِنْ غَزَلي وَمِنْ مَجْدي !

أَنَسيتِ زَهْوَكِ ؟ يـا لَـكافِرَةٍ

جُنَّتْ غَدائِرُها عَلىٰ زَنْـدي

كَمْ غَمْغَمَتْ شَفَتـاكِ فَوْقَ فَمي

قِصَصَ ٱلْهَوىٰ وَخُرافَةَ ٱلْعَهْدِ ..

لا تُغْلِقي جَفْنَيْـكِ مُتْعَبَـةً

أَنا لَنْ أَبوحَ وَأَنْتِ لَنْ تُبْدي

عَيْنـايَ رافَقَتـاكِ في أُفُقٍ

غَذَّيْتِ فَوْقَ سَرابِهِ حِقْدي

ساءَلْتُ عَنْكِ ! فَهَـزَّني قَلَقٌ

في ناظِرَيْكِ يَكادُ يَسْتَجْدي

أَلَكِ ٱلرَّبيعُ ؟ سَليهِ أَيُّ شَذىً

لَمْ يَهْمِ مِنْ نَغَمي وَمِنْ وَرْدي

وَٱلْحُلْمُ ؟ كَمْ إِشْراقَةٍ غَرَبَتْ
مَزَّقْتُ فَوْقَ جِراحِها كِبْدي
وَٱللَّيْلُ ؟ عَفْوَكِ أَيُّ نَيِّرَةٍ
لَمْ يَحْنُ فَوْقَ سُهادِها سُهْدي
وَٱلذِّكْرَياتُ ؟
فَدَيْتُكِ ٱفْتَكِري
أَفَما تَرَكْتِ أَحَبَّها . .
عِنْدي ؟ !

١٩٥٤

نشيد الأنشاد

١

أَتُومئُ لي عَيْناكِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ

شَبابُكِ يَدْعوني وَطَرْفُكِ يُلْهِمُ

وَكَفُّكِ هٰذي تَطْمَئِنُّ إِلىٰ يَدي

فَتُزْهِرُ جَنّاتٌ وَتَخْفِقُ أَنْجُمُ

فَرَشْتُ بِأَهْدابي الطَّريقَ فَأَقْبِلي

دُروبُكِ أَعْيادٌ وَيَوْمُكِ مَوْسِمُ

بِعَيْنَيْكِ آبادٌ تَكادُ نُجومُها

تَخوضُ إِلَيَّ ٱللَّيْلَ وَٱللَّيْلُ مُظْلِمُ

يَهُمُّ بِها طَرْفي فَتَسْأَلُهُ مَتىٰ

فَيَجْأَرُ بي شَوْقٌ وَيُنْكِرُني دَمُ

كَأَنّي وَقَدْ غَرَّقْتُ فيكِ نَواظِري

أُحِسُّ بِحُلْمٍ في ٱلْعُيونِ يُغَمْغِمُ

فَفي كُلِّ جَفْنٍ قِصَّةٌ أَسْتَعيدُها

وَفي كُلِّ هُدْبٍ مَوْعِدٌ يَتَكَلَّمُ..

أَكادُ أَلُمُّ ٱلذِّكْرَياتِ عَلَى دَمي

وَأُمْسِكُ أَنْفاسي إِذا شَهَقَ ٱلْفَمُ

يَضيقُ بِيَ ٱلْكَوْنُ ٱلْعَريضُ فَأَنْثَني

أُهَدِّمُ مِنْ أَسْوارِهِ ما أُهَدِّمُ

أَرودُ بِعَيْنَيْكِ ٱلْغُيوبَ فَتَنْجَلي

وَيَنْدىٰ بِأَهْدابي الرَّبيعُ ٱلْمُنَمْنَمُ

وَتَأْخُذُ طَرْفي نَجْمَةٌ تَعِدُ ٱلسُّهىٰ

وَحُورِيَّةٌ غَيْرىٰ تَكادُ تُسَلِّمُ . .

وَأُغْمِضُ أَجْفاني فَأُبْصِرُ وَاحَةً

تُلَوِّحُ لي فَوْقَ ٱلرِّمالِ فَأُقْدِمُ

أَشُقُّ سُكونَ ٱللَّيْلِ أَسْأَلُ عَنْ غَدي

وَأَدْنو لِلُقْيـاهُ كَأَنِّيَ مُحْرِمُ !

لَقيتُكِ في دَرْبي فَأَوْرَقَ ذابِلٌ

وَأَشْرَقَ مَحْزونٌ وَضَوَّأَ مُظْلِمُ

وَأَطْرَقْتُ لا أَدْري وَقَدْ ضاءَ عالَمي

أَتومِئُ لي عَيْناكِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ !

٢

بلقيس ★ صفيّة

صفيّـة

هُوَ ٱلنَّجْمُ سَيِّدَتي ! فَٱتْرُكيهِ
يَجُرُّ غَلائِلَهُ في ٱلْمَدىٰ
كَأَنّي بِهِ يَزْدَهيهِ ٱلْوُجودُ
وَتَبْهَتُهُ شَهْقَةٌ في ٱلدُّجىٰ
تُرىٰ ما وَراءَكِ ؟ إِنّي أُحِسُّ
بِعَيْنَيْكِ تَتَّهِمانِ ٱلْقَضا . .

أُحِسُّ بِعاصِفَةٍ في ٱلْعُروقِ
يَنوءُ بِها طَرْفُكِ ٱلْمُفْتَدىٰ

بلقيس

صَفِيَّةُ لا تُنْكِري أَنْ أَضيقَ
فَقَدْ أَشْفَقَ ٱلْقَلْبُ مِمّا رأَىٰ
أَهٰذا سُلَيْمانُ ! يُخْفي ٱلْمَلالَ
وَيُنْكِرُ مَوْعِدَنا إِنْ دَنا
كَأَنَّ عَلىٰ عَيْنِهِ نَظْرَةً
تُحاوِلُ أَنْ تَبْلُغَ ٱلْمُنْتَهىٰ . .

صفيَّة

لَكِ ٱلْمَجْدُ سَيِّدَتي ! هَلْ يَهونُ
ضِياءُ ٱلشُّموسِ إِذا ما نَأَىٰ ؟

وَماذا تَخافينَ ؟ وَٱلْكائِناتُ

تَفيضُ بَشائِرُها بِٱلرِّضا

يَتيهُ بِكِ ٱلْمُلْكُ وَٱلْعُنْفُوانُ

وَيُزْهى ٱلْجَلالُ وَتَزْهو ٱلدُّنى

بلقيس

أَخافُ .. أَخافُ ٱنْطِفاءَ ٱلنُّجومِ

إِذا غَصَّ ناظِرُهُ بِٱلْهَوى

وَكانَتْ تُضيءُ بِهِ ٱلذِّكْرَياتُ

وَيَطْفو ٱلنَّعيمُ وَتَنْدى ٱلرُّؤى

وَكَمْ مَرَّةٍ راوَدَتْهُ ٱلْعُيونُ

فَأَنْغَضَ جَبْهَتَهُ وَٱنْطَوى ..

يَمُرُّ فَتَفْرَقُ مِنْهُ ٱلظُّنونُ
وَتَحْذَرُ جَفْوَتَهُ إِنْ رَنا
وَتَشْرُدُ أَحْداقُهُ بَغْتَةً
فَأُبْصِرُ فيهِنَّ ما لا يُرىٰ
أَرىٰ هُوَّةً تَغْتَلي بِٱلشُّكوكِ
وَتَنْطِقُ ظُلْمَتُها بِٱلْوَنىٰ

صفيَّة

لَعَلَّكِ واهِمَةٌ . .

بلقيس

كَمْ وَدِدْتُ
لَوَاُنّي أَعودُ بِهِ ٱلْقَهْقَرىٰ

أَتَنْسينَ عَيْنَيْهِ عِنْدَ اللِّقاءِ

وَأَيُّ بَريقٍ غَريبٍ بَدا ..

صفيَّة

أَكانَ يُحِبُّكِ ؟

بلقيس

يا لَلْغَباءِ ..

لَقَدْ كانَ يَبْحَثُ عَنّي سُدىٰ !

سليمان ★ آصف

سليمان

سَأَلْتُكَ آصَفُ فيمَ اللِّقاءُ

إِذا كُنْتَ تَجْهَلُ لُغْزَ البَقا ؟

لِماذا نَهيمُ وَراءَ ٱلظُّنونِ

لِماذا نُحِسُّ ؟ لِماذا نَرىٰ ..

يُعَذِّبُنا أَنَّنا تائِهونَ

نَؤُمُّ ٱلسَّرابَ وَنَشْكو ٱلصَّدىٰ

نَجُرُّ مَخاوِفَنا في ٱلظَّلامِ

وَنَخشىٰ عَلَيْها ٱنْقِضاضَ ٱلضُّحىٰ

حَمَلْنا ٱلْجِراحَ خِلالَ ٱلدُّروبِ

وَسِرْنا نَلُمُّ خُيوطَ ٱلْمُنىٰ

تُحَمْلِقُ أَشْواقُنا بِٱلنُّجومِ

وَتَلصَقُ أَجْسادُنا بِٱلثَّرىٰ ..

أَلِلحُبِّ ؟ يا ضَيْعَةَ ٱلْأُمْنِياتِ

نُبَدِّدُها في ٱقْتِناصِ ٱلرُّؤىٰ

أَنَنْزِفُ أَدْمُعَنا .. وَٱلْعُهودَ

لِكافِرَةٍ ..

آصف

سَيِّدي ما ٱلنَّبَا ؟ !

حَمَلْتَ لِبَلْقيسَ ما قَدْ حَمَلْتَ

فَكَيْفَ كَفَرْتَ بِهٰذا ٱللِّقا !

سليمان

سَلِ ٱلْقَلْبَ آصَفُ كَيْفَ ٱطْمَأَنَّ

فَوَشَّىٰ ٱلدُّروبَ وَزانَ ٱلرُّبىٰ

لَقَدْ عِشْتُ أَحْمِلُها في ٱلْعُروقِ

وَأَسْمَعُ نُقْلَتَها في ٱلْحَشىٰ

وَهـأَنـذا مُتْعَبٌ .. مُتْعَبٌ

تَنوءُ ٱلطَّريقُ بِهِ إِنْ مَشىٰ

أَراهـا .. فَـأُنْـكِرُ هٰذا ٱلْفَراغَ

بِعَيْنَيْنِ تَدَّعِيانِ ٱلْهَوىٰ

وَأَنْظُرُ في وَجْهِـهـا .. في ٱلْعُيونِ

فَتُنْـكِرُ أَحْداقُها ما أَرىٰ

وَأَخْنُـقُ فَوْقَ فَمي نَزْوَةً ..

فَيَصْرُخُ بي فَمُهـا ٱلْمُشْتَهىٰ

أَلَمْ تَرَها تَرْقُبُ ٱلنَّيِّراتِ

كَأَنَّ لَها تِرَةً في ٱلسَّما .. ؟

آصف

أَتَـكْرَهُـها .. ؟

سليمان

لَيْتَني أَسْتَطيعُ . .

آصف

وَماذا تَخافُ ؟

سليمان

أَخافُ الظَّما !

سليمان ★ بلقيس

بلقيس

سُلَيْمانُ ما بِكَ ؟ إِنَّ الشُّكوكَ

تُرَنِّقُ في ناظِرَيَّ الْفَضا

شِفاهُكَ تَشْرَقُ بِالذِّكْرياتِ

وَتَعْثُرُ بِالْحُلُمِ الْمُجْتَبىٰ

وَعَيْنُكَ مُتْعَبَةٌ تَطْمَئِنُّ

إِذا أَطْبَقَتْ وَحْدَها في الدُّجىٰ

وَتُؤْثِرُ أَنْ نَلْتَقي في الظَّلامِ

كَأَنَّكَ تَخْشىٰ شُعاعَ الضُّحىٰ ..

سليمان

أُحِبُّكِ بَلْقيسُ .

بلقيس

قُلْ ما تَشاءْ

فَطَرْفُكَ يُشْفِقُ مِمّا رَوىٰ

هُنا في عُيونِكَ ..

سليمان

ماذا تَرينَ ؟

بلقيس

أَرىٰ ٱلشَّكَّ يَحْدِجُنىٰ .. وَٱلْأَسىٰ

أَخُنْتُ خَيالَكَ ؟

سليمان

ماذا أَقولُ ..

لَقَدْ كُنْتِ غَيْرَكِ ..

بلقيس

ماذا جَرىٰ ؟

أَلَمْ أَكُ حُلْمَكَ قَبْلَ ٱللِّقاءِ ؟

سليمان

فَدَيْتُكِ بَلْقيسُ ..

بلقيس

يا لَلْغَبا ..

أَنا اُمْرَأَةٌ وُلِدَتْ لِلتُّرابِ

وَأَنْتَ ..!؟

سليمان

أَلَمْ تَعْلَمي مَنْ أَنا ..

أَنا خالِقٌ أَيْنَعَتْ راحَتاهُ

وَأَوْرَقَ إِزْميلُهُ في اَلثَّرىٰ

خَلَقْتُكِ مِنْ رَغْبَتي في اَلْخُلودِ

وَشَوْقي لِعالَمِهِ اَلْمُنْتَأَىٰ ..

وَقُلْتُ : أَنْعَمي بِائتِلاقِ الصَّباحِ
بِوَشْيِ الْجِراجِ .. بِقَطْرِ النَّدى
وَعِشْتُ عَلَى قَلَقي أَسْتَشِفُّ
خَيالَكِ فَوْقَ تُخومِ الدُّنى
وَكُنْتُ أُرِيدُكِ لِلْكِبْرِياءِ
لِأَسْرِ النُّجومِ .. لِغَمْزِ الدُّجى
لِسَبْقِ الْعَصافيرِ عِنْدَ الْبُكورِ
لِلَمِّ الظِّلالِ قُبَيْلَ الْمَسا
لِأَرْضٍ مُنَوَّرَةٍ في الرَّبيعِ
لِنارٍ مُسَعَّرَةٍ في الشِّتا
لِعَهْدٍ نُوَثِّقُهُ بِالْعُهودِ ..
وَعُمْرٍ نُقَطِّعُهُ بِالْهَوى

وَحُـلْمٍ نَضُمُّ عَلَيْـهِ ٱلْجُفونَ

وَنوغِـلُ فيـهِ وَراءَ ٱلْفَضا !

بلقيس

وَماذا رَأَيْتَ ؟

سليمان

رَأَيْتُ ٱلْخَيـالَ

يَغَصُّ بِمَوْعِـدِهِ ٱلْمُرْتَجى ..

بلقيس

سُلَيْمانُ ..

سليمان

بَلْقيسُ ..

بلقيس

ماذا عَراكَ ؟

سليمان

أُحِبُّكِ بلقيسُ ..

بلقيس

قُلْ ما تَشا ..

تَغَيَّرْتَ ..

سليمان

مَنْ قالَ ؟

بلقيس

هذي ٱلْعُيونُ ..

سليمان

أَفي ناظِرَيَّ يَهونُ ٱلْهَوىٰ..!

بلقيس

وَقَلْبي وَقَلْبُكَ . .

سليمان

مُسْتَوْحِشانِ

تَؤودُهُما ذِكْرَياتُ ٱلصِّبا..

بلقيس

أَتَكْرَهُ ماضِيَّ ؟

سليمان

لا تَذْكُريهِ

فَإِنّي أَخافُ ٱنْقِضاضَ ٱلسَّما

هُوَ ٱلسُّمُّ تَشْقىٰ بِهِ ٱلْمُقْلَتانِ
وَتُكْوىٰ ٱلْعُروقُ وَتَعْيا ٱلرُّقىٰ
أَغارُ أَغارُ مِنَ ٱلذِّكْرَياتِ
وَأُنْكِرُ وَسْواسَها في ٱلْكَرىٰ
وَأَكْرَهُ كُلَّ يَدٍ هَدْهَدَتْكِ
وَغاصَتْ أَناملُها في ٱلشَّذىٰ . .
أَلَمْ تُرْسِلي في ٱلْمَساءِ ٱلْبَليلِ
جَدائِلَ يَعْبُدُها مَنْ رَأَىٰ
وَأَلْقَيْتِ رَأْسَكِ فَوْقَ ٱلْوِسادِ
فَضَجَّ ٱلْوِسادُ وَجُنَّ ٱلدُّجىٰ
وَضاقَ بِحُرْقَتِهِ ظامِئٌ . .
فَهَمَّ بِعَيْنَيْكِ حَتّىٰ ٱرْتَوىٰ

أَكَبَّ عَلىٰ فَمِكِ ٱلْعَنْبَرِيِّ
فَرَوّىٰ ٱلْغَليلَ وَبَلَّ ٱلصَّدىٰ ..

بلقيس

سُلَيْمان !

سليمان

لا تُنْكِري ما أَقولُ
فَلَمْ يَبْقَ في فِيَّ غَيْرُ ٱلْقَذىٰ
وَماذا تُريدينَ ؟ إِنّي أَنامُ
وَعَيْنايَ تَلْتَهِمانِ ٱلْمَدىٰ ..
فَلا أَنْتِ ماضٍ عَفَتْهُ ٱلسِّنونُ
وَأَقْفَرَ عالَمُهُ وَٱنْتَهىٰ

وَلا أَنْتِ حُلْمٌ يُضيءُ ٱلْجُفونَ

وَيَطْوي ٱلدُّروبَ وَيُغْري ٱلرُّؤى

بلقيس

أَتَكْرَهُني . .

سليمان

أَشْفِقي فَٱلْجِراحُ

تَكادُ تَسُدُّ عَلَيَّ ٱلْفَضا . .

لَكِ ٱلْقَلْبُ بَلْقيسُ قَبْلَ ٱللِّقاءِ . .

بلقيس

وَبَعْدَ ٱللِّقاءِ ؟ ؟

سليمان

وَبَعْدَ ٱللِّقا

أُحاوِلُ أَنْ أَهْتَدي لِلطَّريقِ

وَأَعْلَمَ أَيِّيَ شَقِيٍّ أَنا ..

بلقيس

أَنا .. أَمْ خَيالُكَ ضَلَّ الْغَداةَ

فَراعَ النُّجومَ وَداسَ السَّنا

سُلَيْمانُ ! قُلْ لي مَتى نَسْتَريحُ

فَنَسْلو الدُّموعَ وَنَطْوي الْأَسى ؟

سليمان

أَقولُ ؟ وَماذا يَقولُ الرَّبيعُ

إِذا رَوَّعَتْهُ رِياحُ الشِّتا ..

طَريقُكِ يوغِلُ خَلْفَ الْقِفارِ

وَدَرْبي يَرودُ بِيَ الْمُنْتَهى !!

بلقيس

صَدَقْتَ سُلَيْمانُ . .

سليمان

هَلْ تَغْفِرينَ . .؟

بلقيس

أَأَمْلِكُ بَعْدَكَ غَيْرَ ٱلرِّضا . .

أَنا في ٱلذُّهولِ أَلُمُّ ٱلْوُعودَ

وَأَحْضُنُ كُلَّ خَيالٍ سَرىٰ

أَغُضُّ ٱلْجُفونَ عَلىٰ دَمْعَتَيْنِ

وَأَشْمَخُ هازِئَةً بِالْبُكا . .

وَقَصْرُكَ هٰذا ٱلَّذي تَدَّعيهِ

وَتَقْنصُ مِنْهُ ذُيولَ ٱلسَّما

سَأَتْرُكُهُ في غَدٍ .. في ٱلصَّباحِ

سليمان

فَدَيْتُكِ لا تُؤْذِني بِٱلنَّوىٰ

بِرَغْمِيَ أَنَّكِ في ناظِرَيَّ

بَقِيَّةُ حُلْمٍ وَرُؤْيا هَوىٰ ..

أَتَبْقينَ بَلْقيسُ ..

بلقيس

رُدَّ ٱلْعَزاءَ

فَلَسْتُ أُبالي أُفولَ ٱلرَّجا

سليمان

أَنا تائِهٌ أَتْعَبَتْهُ ٱلظنونُ

وَضاقَ ٱلطَّريقُ بِهِ وَٱلْتَوىٰ

أَرَدْتُكِ فَوْقَ ٱلْمُنىٰ وَٱلْخَيالِ

فَأَلْقَيْتِ بي في ٱلسُّفوحِ ٱلدُّنىٰ

وَغُمَّ عَلَيَّ ٱلْفَضاءُ ٱلْعَريضُ

فَماذا أَقولُ . .

بلقيس

إِلىٰ المُلْتَقى . . !

٣

أَأَنْتِ وَراءَ ٱلْأُفْقِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ
جَبينُكِ مُرْبَدٌّ وَطَرْفُكِ أَبْكَمُ
تَمُرُّ ٱلرُّؤىٰ مَقْهورَةً في دُروبِنا
وَيُنْكِرُنا ٱلنَّجْمُ ٱلْغَريبُ ٱلْمُلَثَّمُ
أُقَلِّبُ طَرْفي في ٱلْفَضاءِ فَيَرْتَمي
عَلىٰ أَنَّةٍ خَرْساءَ يَنْفُثُها ٱلدَّمُ

كَأَنَّ اللَّيالي أَجْفَلَتْ في مَدارِها
وَسالَ بِها جُرْحٌ وَغَوَّرَ عَلْقَمُ
أَمُدُّ يَدي وَالذِّكْرياتُ تَهُزُّني
وَأُقْفِيَ يَبْكي وَالشُّكوكُ تُدَوِّمُ
أُنَهْنِهُ أَشْواقي وَأَدْفِنُ في دَمي
بَقِيَّةَ دُنْيايَ الَّتي كُنْتُ أَرْسُمُ ..
ثَوىٰ اللَّيْلُ في قَلْبي وَأَغْلَقَ ناظِري
وَضاقَ بِيَ الْوَهْمُ الشَّقِيُّ الْمُهَدَّمُ
وَقَفْتُ أَمامَ الْأُفْقِ أُنْكِرُ ما أَرىٰ
وَأَبْكي عَلىٰ أَيّامِنا وَهْيَ تَهْرَمُ
وَقُلْتُ : نَخوضُ الْيَمَّ ! فَانْهَدَّ قارِبي
وَهَمَّ بِهِ نَوْءٌ وَدَمْدَمَ عَيْلَمُ

وَنادَيْتُ نَجْمي فَٱدْلَهَمَّ طَريقُهُ

وَأَدْرَكَنا ٱللَّيْلُ ٱلطَّويلُ ٱلْمُحَتَّمُ

تُدَفِّعُنا في كُلِّ ناحِيَةٍ يَدٌ

وَيَنْهَرُنا مِنْ كُلِّ زاوِيَةٍ فَمُ

وَكُنّا رِفاقَ ٱلنَّجْمِ ! مَوْعِدُنا ٱلسَّنا

وَمَنْزِلُنا هٰذا ٱلْمَدارُ ٱلْمُحَرَّمُ

وَكانَ لَنا ماضٍ وَكانَ لَنا هَوىً

فَما بالُنا نُدْعىٰ ٱلْغَداةَ فَنُحْجِمُ ؟ !

تَرَكْتُكِ في دَرْبي فَأَخْفَقَ مَوْعِدٌ

وَأَجْهَشَ إِشْراقٌ وَأَقْفَرَ مَعْلَمُ

وَأَطْرَقْتُ لا أَدْري وَقَدْ ضاقَ عالَمي

أَأَنْتِ وَراءَ ٱلْأُفْقِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ !

١٩٥٤

قصائد الكتاب

أبواب الليـــل ٩
الرسالة الزرقـاء ١٦
أمّنـــا الأرض ٢٤
أمطـار ٣٠
هـــي ٣٢
كنـا غرباء ٦٨
نهـــاية درب ٧٤
الطريق الى الله ٨٢

المســـاء ٨٧
الليل في الدروب ٩٢
إلى الأبـد ١١٢
ظلال على الطريق ١١٥
كان ما كان ١٢٢
أأذهب وحدي ١٢٤
أنت لي ١٣٠
نشيد الأنشـاد ١٣٣

للشاعر

كانت لنا أيّام
الليـــل في الدروب

المطبعة الهاشميّة
دمشق ١٩٥٨

Library of

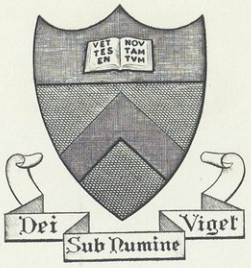

Princeton University.

Princeton University Library
32101 074298207